جامعة الأزهـــــر.
كلية أصول الدين بالقاهرة.

مـــن القـــصص النبـــوي
قصـــــــة أم زرع
دراســة وتحليــل

د/ محمد نصر الدسوقي اللبان
الأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه
بكلية أصول الدين بالقاهر

مُقَدِّمَة

الحمد لله رافع الدرجات لمن انخفض لجلاله، وفاتح البركات لمن انتصب لشكر إفضاله، والصلاة والسلام على من مدت عليه الفصاحة رواقها، وشدت به البلاغة نطاقها، المبعوث بالآيات الباهرة والحجج، المنزل عليه قرآن غير ذي عوج، وعلى آله وأصحابه جواهر البلاغة، وفرسان الفصاحة، وأرباب البيان الذين نظموا لآلىء البديع في عقود الإيجاز والإطناب.

أما بعد

فقد أرسل الله عز وجل رسوله محمدا ﷺ معلما وموجها ومرشدا للبشرية جمعاء، فكانت حياته ﷺ حياة تعليم وتربية، وتأديب وتهذيب. قال تعالى:﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾(١). وقال تعالى أيضا:﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (٢)

وقد تنوعت أساليب النبي ﷺ في التعليم؛ لتناسب كافة المستويات والقدرات التعليمية، فتارة يكون تعليمه ﷺ بضرب الأمثال، وتارة يكون بالحوار والمناقشة، وتارة بالقياس، وتارة بالقدوة، وتارة بالاستنباط ، وتارة بالإلقاء، وتارة بإيراد القصص ونحو ذلك.

وهذا البحث ما هو إلا نموذج ومثال لتعليم النبي ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم بإيراد القصص، وسميته: " قصة أم زرع دراسة وتحليل "، خاصة وقد سبق

---

١) سورة البقرة آية (١٥١).

٢) سورة آل عمرن آية (١٦٤).

أن كتبت بحثا في مباديء النبي ﷺ وأساليبه ووسائله في التعليم عنوانه: "التأصيل النبوي للتعليم: المباديء، والطرائق، والوسائل "([1])

وقد دفعني للكتابة في هذا الموضوع أمور أهمها: الأول: جهل بعض الناس بالقصص الصحيح في السنة النبوية المطهرة في الوقت الذي يدركون فيه أهمية القصص القرآني الذي يشمل مساحة كبيرة في كتاب الله تعالى.

الثاني: استملاح الناس للقصص، وطربهم لسماعها، فللإنسان ميل فطري إلى القصة؛ لما لها من سحر وجذب للقلوب؛ ومن ثم كانت عناية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بها.

الثالث: للقصة دور عظيم في التربية والتعليم من حيث تأثيرها النفسي والعاطفي والعقلي؛ إذ تعرض فيها الحقائق في صورة مواقف يتفاعل معها المتعلم تفاعلا ينقله ليعيش أحداثها، أو ينقلها لتعيش في قلبه وعقله.

الرابع: ربط القصص النبوي ــ غالبا ــ بمعالجة المشكلات الاجتماعية والخلقية، فقصة أم زرع ــ موضوع هذا البحث ــ تعالج معضلة من المعضلات الاجتماعية التي تفاقمت في هذا العصر، وتعاظم أثرها؛ فالمحاكم خير دليل على ذلك، ألا وهي:"سوء العشرة بين الزوجين".

الخامس: ما تميزت قصة أم زرع به من ضروب الفصاحة، وفنون البلاغة: قال القاضي عياض:" وبالجملة فكلام هؤلاء النسوة في الروايات المشهورة من الكلام الفصيح الألفاظ ، الصحيح الأغراض، البليغ العبارة، البديع الكناية والإشارة، الرفيع التشبيه والاستعارة، وبعضهن أبلغ قولا، وأعلى يدا، وأكثر طولا، وأمكن قاعدة وأصلا، وكلام بعضهن أكثر رونقا وديباجة، وأرق حاشية وأحلى مجاجة،

---

[1]) وهو: بحث مستل من المجلة العلمية بكلية التربية بدمياط / جامعة المنصورة، العدد الخمسون، يوليو ٢٠٠٦م.

وبعضهن أصدق في الفصاحة لهجة، وأوضح في البيان محجة، وأبلغ في البلاغة والإيجاز حجة، فأنت إذا تأملت كلام أم زرع وجدته مع كثرة فصوله، وقلة فضوله، مختار الكلمات، واضح السمات، نير القسمات، قد قدرت ألفاظه قدر معانيه، وقررت قواعده، وشيدت مبانيه، وجعلت لبعضه في البلاغة موضعا، وأودعته من البديع بدعا، وإذا لحت كلام التاسعة صاحبة العماد والنجاد والرماد ألفيتها لأفانين البلاغة جامعة، ولعلم البيان رافعة، وبعصا الإيجاز والقصد قارعة، وإذا اعتبرت كلام الأولى فإنه مع صدق تشبيهه، وصقالة وجوهه، قد جمع من حسن الكلام أنواعا، وكشف عن محيا البلاغة قناعا، بل كلهن حسان الأسجاع، متفقات الطباع، غريبات الإبداع".([1])

السادس : فقر المكتبة الإسلامية من المؤلفات والأبحاث التي تعنى بدراسة القصص النبوي في حين تزخر بالكثير من المؤلفات عن القصص القرآني.

وقد اتبعت المنهجين الاستقرائي والاستنباطي في هذا البحث، وقسمته إلى مقدمة، ومدخل للدراسة، وستة مباحث، وخاتمة: ففي المقدمة: بينت أهمية الموضوع، وما دفعني إلى دراسته، والمنهج الذي اتبعته فيه. وفي المدخل: عرفت بالقصة لغة واصطلاحا، وبينت حقيقتها في القرآن الكريم والسنة النبوية، ثم بينت أنواعها، وخصائصها، وعرجت على أهم أهدافها، وأهم فوائدها كما بينت أثرها في التربية والتعليم.

هذا، وقد جاءت مباحث هذا البحث على النحو التالي:

المبحث الأول: تخريج القصة: وقد ذكرت فيه: نص قصة أم زرع، وقمت بتخريجه تخريجا إجماليا وتفصيليا.

---

[1]) بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ص ١٨٦ ــ ١٨٧ طبعة وزارة الأوقاف المغربية سنة ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م، والناشر: مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.

المبحث الثاني: لطائف حول روايات القصة: وبينت فيه الأمور التالية:

أولا : علاقة القصة بالكتب والأبواب الفقهية التي وردت بها.

ثانيا : هل حديث القصة مرفوع إلى النبي ﷺ أو موقوف على السيدة عائشة رضي الله عنها؟

ثالثا : شبهة والرد عليها.

رابعا : سبب ورود القصة.

المبحث الثالث : التعريف بالراوي الأعلى.

المبحث الرابع : أهم الجوانب اللغوية .

المبحث الخامس: أهم الصور البلاغية.

المبحث السادس: أهم الفوائد الفقهية.

وفي الخاتمة : بينت أهم نتائج هذا البحث التي توصلت إليها، وأتبعتها بقائمة المصادر والمراجع. وأسأل المولى جل شأنه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به؛ إنه نعم المولى ونعم النصير.

الباحث

مدخل

ويشتمل على المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف القصة لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني : حقيقة القصة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثالث : أنواع القصة في السنة النبوية.

المطلب الرابع : خصائص القصة في السنة النبوية.

المطلب الخامس: أهداف القصة، وفوائدها، وأثرها في التربية والتعليم.

المطلب الأول

تعريف القصة في اللغة وفي الاصطلاح

أولا : في اللغة:

يدور مفهوم القصة في اللغة العربية حول تتبع الأمر، وبيانه، والإخبار به، وقد ورد لفظ القصة ومشتقاته في عدة معان، أبرزها:

المعنى الأول : تتبع الأثر.

فالقصة لغة: الأخبار المتتبعة، ويقال: قص أثره، وتقصص الخبر: إذا تتبعه، قال تعالى: ﴿ وقالت لأخته قصيه ﴾ (١) أي: تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه. وقال تعالى: ﴿ فارتدا على آثارهما قصصا ﴾ (٢) أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر الذي جاءا به، أي: يتتبعانه.

وتتبع الأثر هو المعني الأصلي للفعل: " قص "(٣)، ووجه الشبه بين من يلقي القصة وبين من يتتبع الأثر هو: كون القاص يتتبع الأحداث فيخبر بها.

المعنى الثاني : البيان.

فالفعل " قص" يأتي بمعنى " بين "، والقص: البيان. ومنه قوله تعالى:﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾(٤) أي: يبين لهم ما اختلفوا فيه. ويرتبط هذا المعنى وهو: " البيان " بالمعنى الأول وهو: " تتبع

---

١) سورة القصص من الآية (١١)

٢) سورة الكهف من الآية (٦٤)

٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤/٧٠ طبعة عيسى الحلبي، ومختار الصحاح للرازي ص ٥٣٨ طبعة الهيئة العامة للكتاب، ولسان العرب لابن منظور ٥/ ٣٦٥١ طبعة دار المعارف بالقاهرة، والمصباح المنير للفيومي ص ٣٠٠ طبعة دار الحديث بالقاهرة.

٤) سورة النمل الآية (٧٦)

الأثر" في أن القاص في تتبعه الأثر وإخباره به يبين من المعاني ما قد يختلط على الناس فهمه.

المعنى الثالث : الإنباء.

فيرد الفعل" قص " بمعنى " أنبأ "، ومنه قوله تعالى: ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك، ومنهم من لم نقصص عليك ﴾ (١) أي: أنبأناك بأخبار بعضهم، ولم نطلعك على ما كان من شأن آخرين منهم.

والقصة: الأمر والحديث والخبر والحال والشأن، وقص عليه الخبر قصصا: وهو المصدر والاسم، والقصص: جمع القصة، قال تعالى: ﴿ إن هذا لهو القصص الحق ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾(٣) والقاص: هو الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها.(٤)

ثانيا: تعريف القصة اصطلاحا:

ترجع معرفة العرب بالقصص إلى العصر الجاهلي، وكانت مادة القصص عندهم تتركز حول أيام العرب، والحكايات الخرافية، والدينية، والعاطفية، والأمثال، ونحو ذلك. وأنس العرب بعد الإسلام إلى قصص القرآن الكريم الذي تردد في كثير من سوره، وأخذ وسيظل يأخذ بالقلوب والعقول إعجازا وإحكاما مثل قصص: عاد، وثمود، ونوح، وموسى وفرعون، ويوسف، ومريم، وأيوب، ويونس، وغيرها.

---

١) سورة غافر من الآية (٧٨)

٢) سورة آل عمران من الآية (٦٢)

٣) سورة يوسف من الآية (١١١)

٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٤/٧٠ ، ومختار الصحاح للرازي ص ٥٣٨، ولسان العرب لابن منظور ٥/ ٣٦٥١ ، والمصباح المنير للفيومي ص ٣٠٠.

أما القصة التي يبتدعها الكاتب فلم يعرفها العرب إلا في القرن الرابع الهجري(١) ثم تطور الفن القصصي بعد ذلك فأصبح يطلق على أنواع متعددة منه هي: القصة القصيرة، والرواية، والمسرحية.

وقد وردت القصة الأدبية بعدة تعريفات أهمها:

- الإخبارعن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضا.(٢)
- أو هي: حكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال، أو من الواقع، أو منهما معا، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي.(٣)
- أو بعبارة أخرى القصة هي: حكاية نثرية هادفة ذات مراحل متتابعة، وتكون مستمدة من الواقع الذي حدث فعلا، أو من الخيال الذي يخلو من الخرافات والأساطير ذات الآثار السلبية على النفس؛ وذلك لأخذ العبرة والعظة.

---

١) الأدب والنقد : د/ مصطفى الشكعة وآخرون ص ٩٩ طبعة مطابع الأخبار بالقاهرة.

٢) أصول في التفسير للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٥٢ ــ ٥٣

٣)المعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص ٧٤٠ طبعة مكتبة الشروق الدولية.

المطلب الثاني

حقيقة القصة في القرآن الكريم والسنة النبوية

إن حقيقة القصة في القرآن الكريم والسنة النبوية هي: إخبار الله عز وجل في كتابه الكريم، أو إخبار رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته المطهرة عن أحوال الأمم الماضية، وعن أحوال الأنبياء السابقين، وعن الحوادث الواقعة؛ أخذا للعبرة والعظة.(١) قال تعالى: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ (٢)

فالقصص في القرآن الكريم والسنة النبوية حقيقة لا خيال؛ لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز بلفظه ومعناه، المتحدى بأقصر سورة منه، فهو الكتاب العزيز الذي﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٣)

ومن ثم فهو منزه عن ذلك التصوير الفني الذي لا يعنى بالواقع التاريخي.

والقصص في السنة النبوية حقيقة لا خيال؛ لأن السنة النبوية المشرفة هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم الذي﴿ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٤) وكذا أفعاله، وتقريراته، وصفاته الخلقية والخلقية.

ومن ثم فإن القصص في القرآن الكريم والسنة النبوية ما هو إلا حقائق ووقائع تاريخية تصاغ في صورة بديعة من الألفاظ القوية المعجزة، والأساليب الرائعة

---

١) طرائق النبي ﷺ في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم : د/ أحمد العليمي ص ١١٠ طبعة دار ابن حزم.

٢) سورة يوسف آية (١١١)

٣) سورة فصلت آية رقم (٤٢)

٤) سورة النجم الآيتان (٣ و ٤)

المتحدى بها، قال تعالى: ﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ (١)

الفرق بين القصة النبوية والقصة الأدبية:

من الثابت أن هناك فرقا بين القصة في السنة النبوية والقصة في الأدب من حيث المصدر والهدف:

أولا : من حيث المصدر: فالقصة في السنة النبوية قائلها هو النبي صلى الله عليه وسلم الذي أوتي جوامع الكلم، فكلامه صلى الله عليه وسلم قليل في لفظه ومبناه، كثير في أفكاره ومعناه، وليس كذلك الأدباء.

ثانيا: من حيث الهدف: فالهدف الأساسي للقصة في السنة النبوية هو: التربية والتوجيه بجانب التأريخ، والقصة الأدبية ليست كذلك.

ومن ثم فإن القصة النبوية يتحقق فيها مفهوم القصة بوجه عام وهو: أن يأتي النص النبوي مصورا لحدث متكامل له بداية ووسط ونهاية.(٢) بغض النظر عن حجم الكلمات، وعددها، والمساحة التي تشغلها.

وقد أطلق بعض المحدثين مصطلح القصة على الأحاديث النبوية ذات الطابع القصصي، ومن أبرزهم: الإمام البخاري رحمه الله تعالى، فقد ترجم ــ مثلا ــ لحديث نبع زمزم بقوله: " باب: قصة زمزم "(٣) ومنهم: الإمام النووي رحمه الله تعالى، فقد ترجم ــ مثلا ــ لحديث أصحاب الأخدود عند الإمام مسلم رحمه الله تعالى بقوله : "باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام" (٤)

١) سورة الكهف الآية (١٣)

٢) القصص في الحديث النبوي: محمد بن حسن الزير ص ١٨ طبعة المطبعة السلفية.

٣) صحيح البخاري(كما في فتح الباري) ٢ / ٢٦٧ طبعة الأهرام التجارية (الريان).

٤) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٩٩ طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

المطلب الثالث

أنواع القصة في السنة النبوية

اشتملت السنة النبوية على كثير من وقائع الماضي، فحوت كثيرا من أخبار الأنبياء السابقين وأحوالهم بصفة خاصة، وأخبار الناس وأحوالهم بصفة عامة، وحكت عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه، كما اشتملت السنة النبوية أيضا على حوادث ووقائع حدثت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ثم فالقصص في السنة النبوية على أنواع أهمها :

النوع الأول: قصص الأنبياء :

مثل: قصة موسى عليه السلام مع الخضر التي جاءت بها السنة النبوية تكميلا وبيانا لما ورد في القرآن الكريم في سورة الكهف، وقد أخرجها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله.(١)

النوع الثاني: قصص الأمم الماضية:

وهي: تلك القصص التي تتعلق بالحوادث الغابرة والأخبار الماضية مثل: قصة أصحاب الغار التي اتفق الشيخان على تخريجها في صحيحيهما: فأخرجها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار، وفي كتاب الأدب باب إجابة من بر والديه(٢)، وأخرجها الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال. (٣)

١) فتح الباري ١ /٢٦٣ ــ ٢٦٤

٢) ينظر: فتح الباري ٦ /٥٨٤ و١٠ /٤١٨ طبعة الريان بالقاهرة .

٣) ينظر: صحيح مسلم ٤ /٢٠٩٩ ــ ٢١٠٠ طبعة دار إحياء الكتب العربية.

ومثـــل: قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا التي اتفق الشيخان على إخراجها في صحيحيهما: فأخرجها الإمام البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء باب من ما ذكر عن بني إسرائيل(١)، وأخرجها الإمام مسلم في صحيحه في كتاب التوبة باب قبـــول توبة القاتل، وإن كثر قتله(٢).

النـــــوع الثالث: قصص الحوادث والوقائع التي حدثت في زمنه ﷺ:

وهـــي: تلك الغزوات، والوقائع التاريخية التي حدثت في عهده صلى الله عليه وسلم مثل: بدر، وأحد، والأحزاب، وحنين، وتبوك وغيرها، وهي قصص معلومة مشهورة في كتب السنة المشرفة.

ومن هذه القصص أيضا: قصـــة الثلاثة الذين خلفـــــوا في غزوة تبوك، وهـــم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلام معهم حتى نزلت توبة الله عليهم في قوله تعالى: ﴿وعلـــى الثلاثـــــة الذين خلفـــوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾(٣).

ومن هذه القصص: قصة الإفك: وخلاصتها اتهام المنافقين السيدة عائشة رضي الله عنها بالفاحشة في غزوة بني المصطلق، وتكذيب الله تعالى لهم في القرآن الكريم، وبيان طهارتها، وإثبات براءتها مما اتهمها به المنافقون، قال تعالى: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبـــوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء

---

١) ينظر: فتح الباري ٦ / ٥٩١ .

٢) ينظر: صحيح مسلم ٤ / ٢١١٨ ــ ٢١١٩ .

٣) سورة التوبة الآية (١١٨)

منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾(١) إلى آخر الآيات.

وهذه القصة اتفق الشيخان على روايتها، فأخرجها الإمام البخاري في كتاب المغازي باب حديث الإفك(٢)، وأخرجها الإمام مسلم في صحيحه في كتاب التوبة باب في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف(٣).

تقسيم آخر للقصص النبوي:

وردت أحاديث نبوية كثيرة في صورة قصص، وقد تفاوتت أحجامها تبعا للهدف والموقف؛ فتأتي على ضربين:

- قصـــيرة موجزة في عبارات محدودة.
- طويـــــلة تستغرق صفحات كاملة.

مثال القصة القصيرة :

ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال: "بينمـــا رجـــل يمشـــــي في حـــــلة (٤)

---

١) سورة النور الآيات من ١١ ــ ١٨

٢) ينظر: فتح الباري ٧ / ٤٩٦ ــ ٤٩٩

٣) ينظر: صحيح مسلم ٤ / ٢١٢٩ ــ ٢١٣٧

٤) الحلـــة : ثوبـــان إزار ورداء، ولا تسمـــى حـــلة إلا أن تكون ثوبين من جـــنس واحد، ولا تكـــون حـــلة إلا وهـــي جديـــدة تحل من طيها فتلبس. ينظر: النهايـــة في غريب الحديث والأثر ١ / ٤٣٢ ــ ٤٣٣ طبعة عيسى الحلبي.

تعجبه (١) نفسه، مرجل رأسه (٢)، يختال في مشيته ، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل (٣) في الأرض إلى يوم القيامة " (٤)

فالقصة هنا تحذيرية؛ ومن ثم جاءت في عبارات سريعة حاسمة؛ لأن الموقف لا يحتمل بسط الكلام.

مثال القصة الطويلة :

ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:﴿ إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدا لله عز وجل أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن؛ قد قذرني الناس، قال: فمسحه، فذهب عنه، فأعطي لونا حسنا، وجلدا حسنا. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال:

البقر، فأعطي ناقة عشراء.(٥) فقال: يبارك لك فيها.

---

١) قال القرطبي: إعجاب المرء بنفسه هو: ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله تعالى، فإن احتقر مع ذلك فهو الكبر المذموم. ينظر: فتح الباري ١٠/٢٧٢.

٢) ترجيل الرأس: تسريحه ودهنه. ينظر:المصباح المنير ص ١٣٥، وفتح الباري ١٠/ ٢٧٢.

٣) يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة: أي يغوص في الأرض حين يخسف به، والجلجلة: حركة مع صوت. ينظر: النهاية ١/ ٢٨٤.

٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء ٦ / ٥٩٥ ، وفي كتاب اللباس باب من جر ثوبه من الخيلاء١٠/ ٢٦٩، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب اللباس والزينة باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه ٣ / ١٦٥٣، وأخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة٤/٦٥٥ وقال: هذا حديث صحيح، طبعة مصطفى الحلبي، وأخرجه النسائي في كتاب الزينة باب التغليظ في جر الإزار ٨ / ٢٠٦ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما طبعة دار الكتب العلمية بيروت، وأخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ٢ / ٦٦،٢٢٢، وأخرجه من حديث أبي هريرة ٢/ ٢٦٧، ٣١٥، ٣٩٠ وغيرها.

٥) ناقة عشراء:(بضم العين وفتح الشين المعجمة)، هي الناقة الحامل القريبة الولادة. أو هي: الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرة أشهر. ينظر: مختار الصحاح ص ٤٣٤

وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا قد قذرني الناس. قال: فمسحه، فذهب وأعطي شعرا حسنا، قال : فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملا، وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك ؟ قال: يرد الله إلي بصري ؛ فأبصر به الناس، قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم ، فأعطاه شاة والدا، فأنتج هذان، وولدا هذا، فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من غنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال : رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرا أتبلغ به في سفري. فقال له: إن الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرا فأعطاك الله، فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر. فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، فرد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال : إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته، فقال: رجل مسكين، وابن سبيل، وتقطعت به الحبال في سفره، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري. وقال له: قد كنت أعمى، فرد الله بصري، وفقيرا فقد

أغناني، فخذ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال: أمسك مالك؛ فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك" (١)

فالقصة هنا فيها حث على الصدقة، وفيها بيان بأن الشكر على النعمة يحفظها؛ فقد حفظ الله تعالى للأعمى النعمة بسبب شكره عليها بينما لم يحفظها للأقرع والأبرص، فجاءت القصة فيها شيء من البسط والتأكيد.

١) أخرجه الإمام البخاري بلفظه في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل ٦ / ٥٧٨ــ ٥٧٩، وفي كتاب الأيمان والنذور باب لا يقول: ما شاء الله وشئت. وهل يقول: أنا بالله ثم بك ١١ / ٥٤٨ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزهد والرقائق ٤ / ٢٢٧٥ ــ ٢٢٧٧.

المطلب الرابع

خصائص القصة في السنة النبوية

إن القصة في السنة النبوية لا يحكمها المفهوم الحديث للقصة الأدبية؛ لأن القصص في الحديث النبوي يختلف في مصدره وزمانه وهدفه عن القصص اليوم، وإن الأسلوب الأمثل في التعرف على خصائص القصة النبوية هو: أن نستقريء النصوص النبوية ذات الأسلوب القصصي لاستخلاص الأجزاء والخصائص منها.

أجزاء القصة النبوية وخصائصها.

إن المتتبع للقصص النبوي يعلم أن أجزاء القصة النبوية ثلاثة أجزاء هي:

- الموضوع.
- والأسلوب.
- والهدف.

أما الموضوع: فهو المعنى الذي تدور حوله القصة، وهو لب القصة وروحها، وهو محط الاهتمام، ومصدر العظة والاعتبار. ومن ثم فكل مكونات القصة وأجزائها لا تقصد لذاتها، وإنما يعتنى بها لأجل الموضوع. وكثيرا ما ترد الشخصيات في قصص السنة النبوية وهي في صورة " نكرة " حتى تنصب الأذهان على الموضوع المطروح في القصة، وتنال منه الثمرة المرجوة.(١)

ومن أهم ما يتسم به الموضوع في القصة النبوية: الاهتمام بالعبرة والعظة؛ فإن المتتبع للقصص النبوي يعلم أنها جميعا قد تحررت من قيود التحديد ــ زمانا ومكانا ــ وانطلقت في مكان أرحب وأوسع بحيث يمكن تطبيقها على ما يشابهها في كل عصر ومصر، شأنها في ذلك شأن قصص القرآن الكريم الذي أبان الله تعالى أن

١) القصص في الحديث النبوي ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣

تأثيـــره لا يرتبط بزمانه، ولا يتحدد بمكانه بل الشأن فيه كما قال تعـالى: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكـن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمـة لقوم يؤمنون﴾(١)

ومن أهم ما يتسم به الموضوع في القصة النبويـة أيضـا: الواقعيـــة، والمقصود بها:

أن القصة النبوية لا تجنح إلى الخيال في موضوعاتها، وإنما تجنح إلى عالم الواقـع الإنساني، فتستخرج منه موضوعاتها، وتصفه وصفا صحيحا مشتملا على جوانـب الخير والشر فيه؛ لترتقي بالمرء إلى المستوى الإنساني اللائق به.

أما الأسلـوب فهو الرداء الظاهري الذي تكتسي به معاني الموضوع، وعلى قدر الارتقاء به ترتقي المعاني أو تهبط. وما أجمل ما قاله صـاحب كتاب: " صبح الأعشى ": " الألفاظ من المعاني بمنزلة الثياب من الأبدان، فالوجه الصبيح يـزداد حسنا بالحلل الفاخرة والملابس البهية، والقبيح يزول عنه بعض القـبح، كمـا أن الحسن ينقص حسنه برثاثة ثيابه، وعدم بهجة ملبوسه، والقبيح يـزداد قبحـا إلى قبحه، فالألفاظ ظواهر المعاني: تحسن بحسنها، وتقبح بقبحها" (٢)

وطريقة عرض الأحداث دون تنافر أو اختلاف بحيث تكون وحدة ذات دلالة محددة هو ما يسميه علماء الأدب بـ " الحبكة "، والمتأمل في أسـلوب القصـص النبوي يرى توافر تلك الحبكة بصورة واضحة، فلا تنافر بين الألفاظ والمعـاني، ولا تقديم لما حقه التأخير أو العكس، وكل شيء محسوب ومقدر.

---

١) سورة يوسف الآية الأخيرة رقم (١١١).

٢) صبح الأعشى لأبي العباس أحمد القلقشندي ١٩٢/٢ طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة.

ومن أهم ما يتسم به الأسلوب في القصـة النبويـة: الإيجـاز في عـرض الأحداث والإطالة في تحقيق الهدف، والإيجاز هـو: الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف.(١)

وهذا هو منهج أسلوبه ﷺ في عموم كلامه، ومنه: العرض القصصـي، فقـد كان النبي ﷺ يوجز أو يطيل حسب ما يحقق الهدف الذي ترمي إليه القصـة، ولا يطيل في عرض أحداث ووقائع لا فائدة منها.

ومن أهم فوائد الإيجاز في القصص النبوي: إعانة المتتبع للقصة على الـربط بـين المقدمات والنتائج مما يجعل تأثيرها أعمق، وفائدتها أتم.

ومن أهم ما يتسم به الأسلوب في القصة النبوية أيضا: السمو والارتقاء؛ فكثيرا ما تتعرض

القصة النبوية لتصوير مواقف الضعف التي تصيب الإنسان إلا أنهـا لا تهـبط بالألفاظ بل تنتقي منها، وترتقي بها، كقول المرأة التي راودهـا ابن عمهـا عـن نفسها في قصة أصحاب الغـار التي أخرجها الشيخان وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: ﴿ اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه ﴾(٢)

---

١) البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ١٧/٢ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في مواضع متعددة منها: كتاب الإجارة بـاب مـن استأجر أجيرا فترك أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مـال غـيره فاستفضـل ٥٢٥/٤ــ ٥٢٦، وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار ٦ / ٥٨٤، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب قصـة أصـحاب الغـار الثلاثة، والتوسل بصالح الأعمال ٤ / ٢٠٩٩، وأخرجه أحمـد ٢/ ١١٦

وأما الهدف فهو الغاية التي سيقت من أجلها القصة، ومن الثابت أن المهمة الأساسية التي أسندت إلى النبي ﷺ هي: دعوة الناس إلى الله تعالى، وتوثيق علاقتهم به، وتربية الأفراد والمجتمع على هذا الأساس، قال تعالى: ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾(١)

ومن أهم ما يتسم به الهدف في القصة النبوية أنه: أخلاقي ديني؛ فالمستقرئ للقصص في السنة النبوية يعلم أن القصة ليست مقصودة لذاتها بل هي أسلوب من أساليب تعريف الناس بقضايا العقيدة، ووسيلة من وسائل تربية الأفراد والمجتمعات على القيم السامية، والمبادئ النبيلة، والمثل العليا.

وبالمقارنة بين خصائص القصة في السنة النبوية والقصة في الأدب المعاصر نجد أن البون شاسع بينهما من عدة أمور أهمها:

أولا: في الوقت الذي يهدف فيه القصص النبوي إلى البناء الأخلاقي، وتدعيم وتوكيد الفضائل، فإن كثيرا من القصص الأدبي المعاصر لا يهدف إلى هذا، وإنما ينتهي في أغلبه بقتل أو انتحار أو هروب أو نحو ذلك.

ثانيا: يصل المرء في القصص النبوي إلى الهدف الأخلاقي بعد عرض موضوع القصة مباشرة بينما يجنح القصص الأدبي ــ في الغالب ــ إلى تطويل لا فائدة منه، فكثيرا ما يصل المرء إلى المقصود من القصة بعد فصول لا داعي لها.

ثالثا: لا يحيد القصص النبوي عن هدفه الديني والأخلاقي الذي التزم به بينما ينتفي هذا الالتزام في الكثير من القصص الأدبي الذي يبرز الانحراف ــ أحيانا ــ ويدعو إلى الإلحاد والمروق من الدين، ويسخر من الدين وعلمائه، ويدعو إلى الرضا بالأخلاق السيئة مثل : انتحار البطل حين يفشل.(٢)

---

١) سورة الأحزاب (٤٥ ، ٤٦)

٢) القصص الصحيح في السنة النبوية د/ طلعت محمد عفيفي مطبعة المدني بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م

المطلب الخامس

أهداف القصة ، وفوائدها، وأثرها في التربية والتعليم

حدد القرآن الكريم للقصص أهدافا عامة أهمها:

١ ــ تثبيت الفؤاد: قال تعالى: ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ﴾ (١)

٢ ــ التفكر: قال تعالى: ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ (٢)

٣ ــ الاعتبار : قال تعالى: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾(٣)

وللقصص النبوي فوائد وأغراض عامة كثيرة ، منها ما يلي:

- تصديق الأنبياء، وإحياء ذكراهم، وبيان فضائلهم، كما في قصة إبراهيم في بناء الكعبة.
- القصص ضرب من ضروب الأدب، يصغي إليه السمع، وترسخ عبره في النفس، قال تعالى: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ (٤)
- الحث على الأعمال الصالحة بشتى صورها، والترغيب فيها، بذكر ثمراتها العاجلة والآجلة، كما في قصة أصحاب الغار.
- التنفير من الأعمال السيئة، وبيان سوء عاقبتها، كما في قصة النفر الثلاثة: الأعمى والأقرع والأبرص.

---

١) سورة هود آية (١٢٠)

٢) سورة الأعراف آية (١٧٦)

٣) سورة يوسف من الآية (١١١)

٤) سورة يوسف من الآية (١١١)

أهمية القصة في العملية التعليمية :

للقصة دور عظيم في التربية والتعليم من حيث تأثيرها النفسي والعاطفي والعقلي، إذ تعرض فيها الحقائق في صورة مواقف يتفاعل معها المتعلم تفاعلا ينقله؛ ليعيش أحداثها، أو ينقلها؛ لتعيش في قلبه وعقله.

ومما لا شك فيه أن القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، والدروس التلقينية والإلقائية تورث الملل، ولا تستطيع الناشئة أن تتابعها وتستوعب عناصرها إلا بصعوبة، وإلى أمد قصير، ولذا كان الأسلوب القصصي أجدى نفعًا، وأكثر فائدةً.

ومن ثم فللإنسان ميل فطري إلى سماع القصص؛ لما لها من سحر، وجذب للقلوب، وهي أطول أمدا في الذاكرة؛ ولذا كانت عناية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بها. وفي القصص النبوي مادة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي من سيرة المرسلين والنبيين، وأخبار الماضين.

ويستطيع المربي أن يصوغ القصص النبوي بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم.

و في ضوء الواقع تظهر أهمية القصة في الناحية التربوية والتعليمية فيما يلي :

أولا: تعمل القصة على تشويق الطلاب، وإثارة دافعيتهم للتعلم.

ثانيا: القصة وسيلة لتوضيح المعنى الغامض، وتقريبه إلى الإفهام.

ثالثا: القصة عامل أساسي لتربية القيم، وتعديل السلوك.

رابعا: للقصة القدرة على التأثير في الوجدان.

خامسا: للقصة القدرة على تصوير الواقع الحي الذي تبرز فيه مواقف الاقتداء والعظة

والعبرة مما يتخذها الطلاب دروسا عملية، ونماذج حية تحبب إليهم الفضيلة، وتنفرهم من الرذيلة.

سادسا: تستخدم القصة مع الطلاب الذين لا يتقبلون النقد الصريح المباشر.

قصـــــة أم زرع دراسة وتحليل

وفيها المباحث التالية:

المبحث الأول: نص القصة وتخريجه.

* نص قصة أم زرع .
* التخريج الإجمالي.
* التخريج التفصيلي.

المبحث الثاني: لطائف حول روايات القصة.

* علاقة القصة بالكتب والأبواب الفقهية التي وردت بها.
* هل حديث القصة مرفوع إلى النبي ﷺ أو موقوف على السيدة عائشة رضي الله عنها؟
* شبهة والرد عليها.
* سبب ورود القصة.

المبحث الثالث: التعريف بالراوي الأعلى.

المبحث الرابع: أهم الجوانب اللغويـــــة .

المبحث الخامس: أهم الجوانب البلاغيـــة.

المبحث السادس: أهم الفوائد الفقهيـــــة.

المبحث الأول

نص قصـــة أم زرع وتخريجه

أخـــرج الشيخان في صحيحيهما بسندهما عن عائشـــة رضـــي الله عنـــها (واللفظ للبخاري) أنها قالت: "جلس إحـــدى عشرة امرأة فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا.

قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل، لا سهل فيرتقي، ولا سمين فينتقل.

قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره ، إني أخاف أن لا أذره ، إن أذكره أذكـــر عجره وبجره.

قالت الثالثة: زوجي العشنـــــق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق.

قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة.

قالت الخامسة: زوجـــي إذا دخل فهد ، وإن خرج أسد ، ولا يسأل عمـــا عهد.

قالت السادسة : زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشـــتنف، وإن اضـــطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث.

قالت السابعة: زوجي غيايـــاء ــ أو عيايـــاء ــ طباقـــاء، كل داء لـــه داء، شجك أو فـــلك أو جمع كلا لك.

قالت الثامنة: زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب .

قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرمـــاد ، قريـــب البيت من الناد .

قالت العاشرة: زوجي مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح ، وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك.

قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع ، فما أبو زرع ؟ ! أناس من حلي أذني، وملأ من شحم عضدي، وبجحني فبجحت إلي نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل، وأطيط، ودائس، ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح.

أم أبي زرع: فما أم أبي زرع ؟! عكومها رداح، وبيتها فساح.

ابن أبي زرع: فما ابن أبي زرع ؟! مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة.

بنت أبي زرع: فما بنت أبي زرع؟ ! طوع أبيها، وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها.

جارية أبي زرع: فما جارية أبي زرع ؟ ! لا تبث حديثنا تبثيثا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا.

قالت: خرج أبو زرع ، والأوطاب تمخض ، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلا سريا، ركب شريا، وأخذ خطيا، وأراح علي نعما ثريا، وأعطاني من كل رائحة زوجا، وقال: كلي أم زرع، وميري أهلك، قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع.

قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ: ﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾.

تخريج هذه القصة

أولا : التخريج الإجمالي.

أخرج هذه القصة الشيخان: البخاري، ومسلم في "صحيحيهما "، كما أخرجها أيضا ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان، والترمذي في كتابه: " الشمائل "، والنسائي في كتابه: " عشرة النساء "، وأبو يعلى في " مسنده "، والطبراني في " المعجم الكبير"، وأخرجها القاضي الرامهرمزي في كتابه:" الأمثال "، وابن أبي عاصم في كتابه: " السنة "، والبغوي في كتابه:" شرح السنة "، والبخاري في كتابه:" التاريخ الكبير"، والخطيب البغدادي في كتابه: " تاريخ بغداد " وأخرجها غيرهم.

ثانيا: التخريج التفصيلي.

- أخرجها الإمام البخاري في صحيحه (كما في فتح الباري) في كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل ٩ / ٢٥٤ ــ ٢٥٥ عن عائشة رضي الله عنها، طبعة دار الفكر بيروت، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. وفي ٩/١٦٣ ــ ١٦٤ طبعة دار الريان للتراث.
- وأخرجها الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب ذكر حديث أم زرع ٤ / ١٨٩٦ ــ ١٩٠٢ عن عائشة رضي الله عنها، طبعة دار إحياء الكتب العربية(عيسى البابي الحلبي) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. وفي الجزء الخامس عشر ص ٢١٢ ــ ٢٢٢ طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الرابعة (كما في المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي).
- وأخرجها الإمام ابن حبان في صحيحه (كما في الإحسان) في كتاب مناقب الصحابة باب ذكر قول المصطفى صلى الله عليه وسلم للصديقة بنت

الصديق أنه لها كأبي زرع لأم زرع ٩ / ١١٧ ــ ١١٨ عن عائشة رضي الله عنها طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

• وأخرجها الإمام الترمذي في كتابه: الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية في باب ما جاء في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السمر ص ١٧٤ــ ١٧٥ طبعة المكتبة التوفيقية بالقاهرة. وفي باب حديث أم زرع كما في آخر كتاب تحفة الأحوذي) ١٠ / ٤٦٥ ــ ٤٦٧ عن عائشة رضي الله عنها، طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.

• وأخرجها الإمام النسائي في كتابه: (عشرة النساء) باب شكر المرأة لزوجها ص ١١٣ــ ١٢٣ من طرق متعددة كلها من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها من رقم ٢٥٢ حتى رقم ٢٥٦ طبعة دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

• وأخرجها الإمام أبو يعلى الموصلي في مسنده في مسند عائشة رضي الله عنها ٨ /١٥٤ ــ ١٥٩ برقم ٣٤٥ (٤٧٠١) طبعة دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

• وأخرجها الإمام الطبراني في المعجم الكبيرتحت عنوان: طرق حديث أم زرع، وحسن عشرة النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها ٢٣ / ١٦٥ــ ١٧٤ طبعة دار إحياء التراث العربي.

• وأخرجها البغوي في كتابه: " شرح السنة " في كتاب النكاح باب حسن العشرة معهن ٥/ ٤٠٠ ــ ٤٠٢ برقم ٢٣٤١ وقال: هذا حديث متفق على صحته. طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.

• وأخرج الخطيب البغدادي في كتابه: " تاريخ بغداد " الجزء المرفوع منه ﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾ في ترجمة محمد بن زياد بن الأعرابي

٥/ ٢٨٢، وفي ترجمة حاتم بن الليث أبي الفضل الجوهري ٨/ ٢٤٥،٢٤٦ طبعة دار الفكر.

• وأخرجها القاضي الرامهرمزي بإسناده في كتابه " الأمثال " ص ١٣٠ برقم ١٠٥ طبعة مؤسسة الكتب الثقافية.

• وقد ذكره الهيثمي في كتابه:"مجمع الزوائد ومنبع الفوائد" في كتاب النكاح باب عشرة النساء ٤/ ٥٨٠ ــ ٥٨٨ طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.

• كما ذكره العراقي في كتابه: (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار) تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للغزالي ٢/٤٥ وقال: " متفق عليه ". طبعة دار إحياء الكتب العربية(عيسى الحلبي).

ويتضح من هذا التخريج: أن حديث قصة أم زرع في أعلى درجات الحديث الصحيح؛ فهو من الأحاديث المتفق عليها، ولا خلاف في صحته.

المبحث الثاني

لطائف حول روايات القصة

أولا: علاقة القصة بالكتب والأبواب الفقهية التي وردت بها.

من خلال التخريج السابق لقصة أم زرع يتضح بجلاء أنها وردت في كتابين فقهيين :

الأول : النكاح أو عشرة النساء (كما عند الإمامين البخاري والنسائي وغيرهما).

الثاني : فضائل الصحابة ﷺ أو مناقبهم (كما عند الإمامين مسلم وابن حبان وغيرهما).

أما علاقة القصة بكتاب النكاح فواضحة؛ لأن الإحدى عشرة امرأة كلهن زوجات، ووروده في باب حسن المعاشرة مع الأهل، أو في باب عشرة النساء فبين أيضا؛ لأن حسن العشرة غاية من غايات النكاح.

والمعاشرة: تعني المخالطة والصحبة، وهي: من باب المفاعلة الموضوعة لمشاركة اثنين أحدهما متعلق بالآخر، ومن ثم" يطلق لفظ (العشير) بمعنى المعاشر على كل من الزوج والزوجة".(١)

وأما علاقة القصة بكتاب فضائل الصحابة ﷺ فيشعر ببيان فضل السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما؛ ولذلك فقد ذكر الإمام مسلم في الباب السابق على القصة باب: فضل عائشة رضي الله عنها(٢)، فكانت القصة تتمة لهذا الباب، وفيها قوله ﷺ : ﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾ وهو فضل لأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها، وبيان لمنزلتها.

---

١) المصباح المنير ص ٢٤٥، ومختار الصحاح ص ٤٣٤.

٢) صحيح مسلم ٤/ ١٨٨٩

ثانيا : هل حديث القصة مرفوع إلى النبي ﷺ أو موقوف على السيدة عائشة رضي الله عنها.

من المتفق عليه أن قوله ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها: ﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾ مرفوع إليه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وفي غيرهما، وأما بقية حديث القصة فمختلف فيه على النحو التالي:

أولا: في الصحيحين: موقوف على السيدة عائشة رضي الله عنها.

ثانيا: في غير الصحيحين: الحديث كله مرفوع عند النسائي والطبراني وغيرهما من رواية عباد بن منصورعن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، وسياقه لا يقبل التأويل، ولفظه: قالت عائشة رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ : ﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: بأبي وأمي يا رسول الله، ومن كان أبو زرع ؟ قال ﷺ:﴿ اجتمع عشر نسوة ..... ﴾ وساق النسائي الحديث بطوله.(١)

قال البدر العيني: " روي من غير طريق عن عروة عن عائشة رضي الله عنها من قول سيدنا رسول الله ﷺ كله، هكذا رواه عباد بن منصور، والدراوردي، وعبد الله بن مصعب الزبيري، ويونس بن أبي إسحاق كلهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ، وكذا رفعه جماعة آخرون.(٢)

وكذا أخرجه النسائي من رواية القاسم بن عبد الواحد بسنده، وفي أوله: قال لي رسول الله ﷺ: ﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع، ثم أنشأ يحدث حديث أم زرع ﴾.(٣)

---

١) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء باب شكر المرأة لزوجها ص (١٢٠) رقم الحديث (٢٥٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٣ / ١٧١ ــ ١٧٣.

٢) عمدة القاري للبدر العيني ١٦/ ٣٦٧ طبعة الحلبي.

٣) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء باب شكر المرأة لزوجها ص(١٢٠ــ ١٢٣) حديث(٢٥٦).

قال القاضي عياض:" ولا خلاف في رفع قوله ﷺ في هذا الحديث: ﴿كنت لك كأبي زرع لأم زرع﴾، وإنما الخلاف في بقيته. وقد قال أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي الحافظ: المرفوع من هذا الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله لعائشة رضي الله عنها: ﴿كنت لك كأبي زرع لأم زرع﴾، وما عداه فمن كلام السيدة عائشة رضي الله عنها، حدثت به هي النبي ﷺ ، بين ذلك عيسى بن يونس في روايته، وأبو أويس، وأبو معاوية الضرير."(١)

ج - شبهة والرد عليها :

وقد تسآل القاضي عياض: من هو فاعل أنشأ يحدث حديث أم زرع ؟ فقال: له احتمالان: الأول : رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثاني: راوي الحديث: (عروة عن عائشة رضي الله عنها).

وقد جنح الإمام أبو الحسن الدارقطني لهذا الاحتمال الثاني فقال:" الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها حدثت النبي ﷺ بقصة النسوة، فقال لها حينئذ: ﴿كنت لك كأبي زرع لأم زرع﴾ (٢)

بل وجزم القاضي عياض به، ووصم من لم يذهب إلى هذا الاحتمال بالوهم فقال: وقد روي أن القائل:" ثم أنشأ يحدث الحديث" هو هشام، حكى أن أباه (عروة) أنشأ يحدث الحديث، فأوهم السامع أن عائشة رضي الله عنها أخبرت بذلك عن النبي ﷺ.(٣)

---

١) بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد: للقاضي عياض ص ٢٠-٢١ طبعة وزارة الأوقاف المغربية، والناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة. وتنظر: روايات الحديث في المعجم الكبير ٢٣/ ١٦٤-١٧٧، وفي كتاب عشرة النساء للنسائي من ص ١١٤ - ١٢٣.

٢) بغية الرائد ص (٢١)

٣) المصدر السابق ص (٢١)

وقال القاضي عياض أيضا: وقول عيسى بن يونس، وسعيد بن سلمة، وسويد بن عبد العزيز ومن تابعهم عن هشام عن أخيه عبد الله عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: أنها هي حدثت النبي ﷺ بقصة النسوة فقال لها حينئذ:﴿كنت لك كأبي زرع لأم زرع﴾ هو الصواب.(١)

وقال ابن حجر: قال عياض: يحتمل أن يكون فاعل" أنشأ "هو عروة، فلا يكون مرفوعا. وأخذ القرطبي بهذا الاحتمال فجزم به، وزعم أن ما عداه وهم، وسبقه إلى ذلك ابن الجوزي.(٢)

الرد على هذا الشبهة :

ويجاب على الاحتمال الثاني الذي أخذ به كل من القاضي عياض، والدارقطني، والقرطبي، وابن الجوزي بما ورد في بعض الطرق الصحيحة لهذه القصة ﴿ ثم أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث﴾(٣) وقد حكم ابن حجر عليها بالصحة.(٤)

ولعل الأئمة: القاضي عياض والدارقطني، وابن الجوزي، والقرطبي وغيرهم ممن قال بقولهم لم يقفوا على هذه الرواية الصحيحة التي بها يرتفع الاحتمال، وتنتفي الشبهة، ويزال الإشكال. أو أنهم لم يريدوا أن هذا الحديث ليس بمرفوع حكما.

---

١) المصدر السابق ص (٢٢)

٢) فتح الباري٩ / ١٦٥ - ١٦٦ .

٣) أخرج هذه الرواية: النسائي في كتابه: عشرة النساء باب شكر المرأة لزوجها ص ١٢٠- ١٢٣ من طريق عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها. وأخرجها الطبراني في المعجم الكبير ٢٣ / ١٧٣- ١٧٤من الطريق نفسه.

٤) فتح الباري ٩ / ١٦٦

ومما يقوى أن يكون حديث القصة جميعه مرفوعا أيضا: أن التشبيه المتفق على رفعه، وهو قوله: ﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾ يستلزم سماع ومعرفة النبي ﷺ بالقصة وإقرارها؛ ومن ثم يكون حديثها مرفوعا من ناحية إقرارها؛ فالحديث المرفوع: هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.(١)

د : سبب ورود القصة :

قد ثبت من روايات حديث أم زرع أن سبب وروده هو افتخار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمال أبيها في الجاهلية، فمنعها ﷺ من الفخر بحطام الدنيا، وبين لها أن محبته ﷺ إياها، وحسن عشرته لها، ومنزلتها منه أعرق في الفخر، وأرفع في الذكر من كثرة مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قال السيوطي في اللمع(٢): سبب ورودها ما أخرجه الطبراني بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ فخرت بمال أبي في الجاهلية ، وكان قدر ألف ألف أوقية ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ اسكتي يا عائشة ؛ فإني كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾ ثم أنشأ رسول الله ﷺ يحدث أن إحدى عشرة امرأة اجتمعن في الجاهلية ، فتعاهدن لتخبرن كل امرأة بما في زوجها، ولا تكذب .....﴾ فذكر الحديث بطوله.(٣).

---

١) فتح الباري٩/ ١٦٦، وتدريب الراوي ١ / ١٨٣ ــ ١٨٤ طبعة دار التراث.

٢) اللمع في أسباب الحديث للإمام السيوطي ص ١٧٧ طبعة دار المعرفة بيروت.

٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٧٤/٢٣من طريق عمر بن عبد الله بن عروة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها. وأخرجه النسائي في كتابه: عشرة النساء باب شكر المرأة لزوجها ص ١٢٠ ــ ١٢٣ من الطريق نفسه.

المبحث الثالث

التعريف بالراوي الأعلى

هي: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية. أبوها: هو أبو بكر ﷺ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ، وأحبهم إليه، فهو رفيقه في الغار، وصاحبه في الهجرة، وخليفته على المسلمين في الصلاة. أمها: أم رومان بضم الراء وسكون الواو على المشهور، وقيل: بفتح الراء: زينب بنت عامر الكنانية. كنيتها: كان رسول الله ﷺ يكنيها بأم عبد الله، وهو عبد الله بن الزبير ﷺ ، ابن أختها أسماء، وذلك لحبه لها، وملازمته إياها. مولدها: ولدت بعد البعثة بأربع سنين. إسلامها: أسلمت وهي صغيرة هي وأختها أسماء بعد أن عرفت معنى الإسلام.

زواجها من رسول الله ﷺ :

خطبها النبي ﷺ في مكة المكرمة، وهي بنت ست سنين، ودخل بها في المدينة المنورة، وهي بنت تسع سنين، وذلك في شهر شوال بعد غزوة بدر الكبرى في العام الثاني للهجرة، فأقامت في صحبته ثمانية أعوام وخمسة أشهر، فكانت أحب نسائه إليه، ولم يتزوج بكرا سواها.

وقد أتاه جبريل عليه السلام في منامه ﷺ بصورتها في قطعة من حرير أخضر، وقال له: هذه امرأتك، فيكشف عنها الرسول ﷺ فإذا هي عائشة رضي الله عنها، ويقول: ﴿ إن يك هذا من عند الله يمضه ﴾. وكانت ثالثة الزوجات الطاهرات بعد خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة رضي الله عنهن.

مناقبها :

مناقبها وفضائلها كثيرة جدا من أهمها:

- أنها أحب زوجاته ﷺ إليه؛ لمنزلة أبيها منه ﷺ، ولأن الخصال الكريمة التي اجتمعت فيها رضي الله عنها يندر أن تتوافر لسواها.

- نزل القرآن الكريم ببراءتها رضي الله عنها مما رميت به من الإفك.
- كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي ﷺ وهو في لحافها، ويبلغه السلام عليها.
- كانت بعض زوجات النبي ﷺ تتقرب إلى حبه ﷺ بحبها رضي الله عنها.
- كانت رضي الله عنها شديدة الحياء.
- كانت رضي الله عنها صوامة، قوامة، زاهدة، كريمة.
- كانت رضي الله عنها مباركة.
- شرع بسببها رضي الله عنها حد الجلد للقاذف.
- رخص بسببها رضي الله عنها في التيمم لمن لم يجد الماء.
- كانت رضي الله عنها من أفقه الناس، وأحسنهم رأيا، وأعلمهم بالفرائض، والطب، والشعر، وكانت رضي الله عنها تمتاز بالعلم بمسائل النساء وأحكامهن، فكان أكابر الصحابة ﷺ إذا أشكل عليهم أمر سألوها رضي الله عنها عنه، فوجدوا عندها منه علما.
- قال أبو موسى الأشعري ﷺ: ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ أمر قط فسألنا عنه عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها منه علما.
- وقال الزهري رحمه الله: لو جمع علم عائشة رضي الله عنها إلى علم جميع أزواج النبي ﷺ ، وعلم جميع النساء لكان علم عائشة رضي الله عنها أفضل.

عدد مروياتها:

كانت رضي الله عنها من المكثرات في رواية أحاديث النبي ﷺ ، فقد روت (٢٢١٠) من الأحاديث، اتفق الشيخان منها على(١٧٤) حديثا، وانفرد البخاري بـ (٧٤) حديثا، وانفرد مسلم بـ (٥٨) حديثا.

أهم شيوخها، وتلاميذها، وأصح الأسانيد عنها:

روت السيدة عائشة رضي الله عنها عن الرسول ﷺ، كما روت عن كبار الصحابة ﷺ ، فروت عن أبيها، وعن عمر بن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وأسيد بن حضير، وفاطمة، وغيرهم.

وروى عنها من الصحابة ﷺ: أبو هريرة، وأبو موسى الأشعري، وزيد بن خالد الجهني، وعبد الله بن عباس وغيرهم.

وروى عنها من كبار التابعين: القاسم وعبدالله ابنا أخيها محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، ومسروق وغيرهم خلق كثير.

قال الشعبي: كان مسروق إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: حدثتني الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله تعالى، المبرأة من فوق سبع سماوات.

وأصح أسانيدها: ما رواه الزهري أو هشام بن عروة عن عروة بن الزبير عنها (كما هو واضح في أسانيد حديث أم زرع) وما رواه يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن عمر عن القاسم بن محمد عنها.

وفاتها :

توفيت رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ٥٨ هجرية، ودفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه. (١)

---

١) تراجع ترجمتها في: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٤/ ٣٥٩ طبعة دار الكتب العلمية، والاستيعاب٤/٣٥، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ٢/ ٣٥٠ــ ٣٥٢ طبعة دار الكتب العلمية بيروت، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣٩/٨، وتهذيب التهذيب ٤٨٧/١٠ ــ طبعة دار الفكر العربي ٤٨٩ طبعة دار الفكر، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٢٧ــ ٢٩

المبحث الرابع

الجوانب اللغوية للقصة

﴿ جلس إحدى عشرة امرأة ﴾ وردت روايات متعددة ــ في لفظ "جلس" ــ أهمها: "جلست، جلسن، اجتمع، اجتمعت، اجتمعن"، ونون جلسن واجتمعن هي نون النسوة التي تلحق الفعل على لغة:" أكلوني البراغيث "، وهي لغة أعيان العرب كطي، وأزد شنوءة، وقبيلة الحارث بن كعب.

وقد وردت هذه اللغة في القرآن الكريم، والسنة النبوية، والشعر في مواضع كثيرة، منها على سبيل المثال:

- قال تعالى: ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا ..... ﴾ (١)
- وفي الحديث: ﴿ يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار.. ﴾ (٢)
- وقال الشاعر:

يلومونني في حب ليلى عواذلي ولكنني من حبها لعميد (٣)

ففي هذه النصوص وغيرها دليل لمن قال من النحويين بجواز إظهار ضمائر الجمع والتثنية في الفعل إذا تقدم.(٤)

---

١) سورة الأنبياء من الآية رقم (٣).

٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب في فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ١ / ٤٣٩ برقم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٣١٢/٢ .

٣) شرح ابن عقيل ٣٣٣/١

٤) القواعد الأساسية في النحو والصرف تأليف: يوسف الحمادي، ومحمد الشناوي، ومحمد شفيق عطا ص ١٧٩ طبعة المطابع الأميرية سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م، وشرح ابن عقيل ٣٣٣/١.

﴿ إحدى عشرة امرأة ﴾ يجوز في شين عشرة هنا التسكين، ويجوز الكسر على لغة تميم، وبني العدد المركب " إحدى عشرة " على فتح الجزئين.

ولما كانت العبرة بالحدث والحكم، فقد أضربت الروايات الصحيحة صفحا عن ذكر أسماء النساء، وأسماء أزواجهن، وأسماء الزمان والمكان؛ لأنه لا يتعلق بذكرها كبير فائدة.

غير أن بعض الروايات الضعيفة المضطربة قد صرحت بمكان جلوسهن، وهو إما قرية من قرى اليمن، أو قرية من قرى مكة، كما صرحت تلك الروايات أيضا بأن هؤلاءالنسوة من خثعم، وهو: بطن من بطون اليمن، وأنهن كن في الجاهلية.

أخرج الإمام الطبراني في المعجم الكبير(١) من طريق الزبير بن بكار عن محمد ابن الضحاك عن عبد العزيز الدراوردي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ فقال :" يا عائشة كنت لك كأبي زرع لأم زرع" قال رسول الله ﷺ: " إن قرية من قرى اليمن كان بها بطون من بطون اليمن، وفيها إحدى عشرة امرأة، وأنهن خرجن إلى مجلس لهن، فقالت بعضهن لبعض: تعالوا فلنذكرن بعولتنا ببعض ما فيهم ولا نكذب. فقيل للأولى: تكلمي، فقالت: وذكر الحديث.

وقالت الثانية: وهي: عمرة بنت عبد عمرو.(٢)

---

١) المعجم الكبير للطبراني ٢٣ / ١٧٦ ــ ١٧٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٥٨٥ وقال: رواه الطبراني عن شيخه عبيد الله بن محمد العمري رماه النسائي بالكذب.

٢) وفي مجمع الزوائد ((عمرة بنت عمرو)) كما عند الخطيب في كتابه: الأسماء المبهمة. يراجع: المستفاد ٢/ ٩٩٤

وقيل للثالثة: تكلمي، وهي حبى بنت كعب.(١)

قيل للرابعة: تكلمي، وهى هدد بنت أبى هرومة.(٢)

قيل للخامسة: تكلمي، وهي كبشة.

قيل للسادسة: تكلمي، وهي هند.

قيل للسابعة: تكلمي، وهي حبى بنت علقمة.(٣)

قيل للثامنة: تكلمي، وهي أسماء بنت عبد.(٤)

قيل للتاسعة: تكلمي، ولم يسمها.

قيل للعاشرة : تكلمي، وهي كبيشة بنت الأرقم.(٥)

وقيل لأم زرع: تكلمي، وهي بنت الأكيحل(٦) بن ساعدة، فقالت: أبو زرع؟ وما أبو زرع؟ فذكر الحديث.

قال الخطيب البغدادي في كتابه" الأسماء المبهمة":" ولا أعلم أحدا سمى النسوة في حديثه إلا من الطريق الذي أذكره،(وهو طريق الطبراني السابق) وهو غريب جدا، ثم ساق الحديث من طريق الزبير بن بكار، وفيه أن الثانية: عمرة بنت عمرو. والثالثة: حبي بنت كعب. والرابعة: مهدد بنت أبي مهزومة.

١) بضم المهملة وتشديد الموحدة مقصورا كما في الفتح، وفي الأسماء المبهمة ((حبي)) بمثناتين تحتانيتين أولاهما مفتوحة، والثانية مشددة، وفي شرح النووي ((حنى بنت كعب)) بالنون.

٢) بضم الهاء وفتح الدال، وفي الأسماء المبهمة للخطيب: ((مهدد بنت أبي هزومة)) بفتح الميم وإسكان الهاء وفي شرح النووي: ((مهدد بنت مرزمة)).

٣) بضم الحاء المهملة مقصورا، وفي الأسماء المبهمة ((حبي)) بمثناتين، وفي شرح النووي: ((حنى))

٤) وقيل: هرمة بنت أوس بن عبد. يراجع: المستفاد من مبهمات المتن والإسناد ٢/ ٩٩٥

٥) بالتصغير، وفي مجمع الزوائد: ((كبشة)) .

٦) بالحاء المهملة، وفي الأسماء المبهمة:((بنت الأكيمل)) وقيل: عاتكة بنت كهل بن ساعدة. وفي شرح النووي: ((أم زرع بنت أكهل بن ساعدة))

والخامسة: كبشة. والسادسة: هند. والسابعة: حبي بنت علقمة. والثامنة: بنت أوس بن عبد. والعاشرة: كبشة بنت الأرقم. والحادية عشرة: أم زرع بنت أكيمل بن ساعدة. واسمها: عاتكة. ولم يسم الأولى، ولا التاسعة، ولا أزواجهن، ولا بنت أبي زرع، ولا أمه، ولا الجارية، ولا المرأة التي تزوجها أبو زرع، ولا الرجل الذي تزوجته أم زرع.(١)

غير أنه ينبغي التنبيه إلى أن هذا الترتيب ليس هو ترتيب القصة في الصحيحين، فليست الأولى هنا هي الأولى في الصحيحين، ولا الثانية هي الثانية، وهكذا.

قال ابن حجر: وقد اختلف كثير من رواة الحديث في ترتيبهن، ولا ضير في ذلك، ولا أثر للتقديم والتأخير فيه؛ إذ لم يقع تسميتهن.(٢)

وقد وقع في رواية الهيثم: " أنهن كن بمكة" وأفاد ابن حزم فيما نقله القاضي عياض:" أنهن كن من خثعم". وهو يوافق رواية الزبير السابقة: " أنهن من أهل اليمن". ووقع في رواية ابن أبي أويس عن أبيه:" أنهن كن في الجاهلية" وكذا عند النسائي في رواية عقبة بن خالد عن هشام.(٣)

والحق: أن تلك الروايات المضطربة والضعيفة لا يعتمد عليها في شيء؛ لأنها لا تقوم بها الحجة.

﴿ قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل، لا سهل فيرتقي، ولا سمين فينتقل ﴾ الغث: مأخوذ من قولهم: غث الجرح: إذا سال منه

١) تحقيق: كتاب المستفاد من مبهمات المتن والإسناد ٢/٩٩٤ طبعة دار الوفاء نقلا عن الأسماء المبهمة ص ٥٢٨.

٢) فتح الباري ٩ / ١٦٧

٣) فتح الباري ٩ / ١٦٧، ويراجع: بغية الرائد للقاضي عياض ص ١٢ ــ ١٦ ، وتفسير السيوطي.

القيح. قال ابن منظور: الغث: الرديء من كل شيء.(١)، والغث: الفاسد من الطعام، والغث: الهزيل.(٢) ومقابل الغث: السمين، والمراد باللحم الغث هنا: الهزيل الذي يكره ويترك؛ لهزاله.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي: سمعت أهل العلم يقولون في تفسير هذا الحديث: قول الأولى: لحم جمل غث تعني المهزول.(٣) وقال أبو سعيد النيسابوري: ليس شيء من الغثاث من الأزواج الثمانية(٤) هو أخبث غثاثة من الجمل؛ لأنه يجمع بين خبث الطعم، وخبث الريح حتى ضرب به المثل.(٥)

وفي إعراب لفظ " غث "وجهان :

الوجه الأول: الرفع: على أنه نعت للحم.

الوجه الثاني: الجر: على أنه نعت للجمل.

﴿ على رأس جبل ﴾ تصف قلة خيره، وبعده مع القلة كالشيء في قمة الجبل الصعب لاينال إلا بالمشقة.(٦) فكذلك هذا لا يوصل إلى خيره إلا بموته؛ لبخله.

---

١) لسان العرب ٥ / ٣٢١٣

٢) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣/ ٥٠ طبعة عيسى الحلبي.

٣) غريب الحديث: تأليف أبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ١ /٣٦٤ طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

٤) الأزواج الثمانية هي: الضأن، والمعز، والإبل، والبقر، الذكر والأنثى من كل منها.

٥) شرح ابن بطال على صحيح البخاري: للشيخ العلامة أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ / تحقيق وتخريج مصطفى عبد القادر عطا ٧ / ٢٤٥ طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٢ م. وعمدة القاري للبدر العيني ١٦ / ٣٦٨ طبعة الحلبي.

٦) غريب الحديث لأبي عبيد ١ /٣٦٦، وشرح ابن بطال ٢٤٥/٧

﴿ وعر﴾ كما جاء في بعض الروايات أي: كثير الصخر، شديد الغلظة، يصعب الصعود إليه، والوعر الصعب.(١) وفي رواية:"وعث " وأصل الوعث: الطريق الشاق المسلك(٢) أوالرمل؛ لأن المشي فيه يشق ويشتد على الماشي؛ ولذا ورد في دعاء السفر: ﴿ اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ﴾(٣) أي: من شدته ومشقته.

وفي رواية: ﴿ على رأس قوز وعث ﴾ القوز: الكثيب(٤) أو العالي من الرمل كأنه جبل، والمراد: شدة الصعود فيه، فإذا كان المشي في الرمل شاقا، فكيف بالصعود عليه وهو جبل!!!!

وذهب الخطابي إلى أن تمثيلها بالجبل الوعرهنا إشارة إلى سوء خلقه، والذهاب بنفسه وترفعه تيها وكبرا، تريد أنه مع قلة خيره يتكبر على عشيرته، فيجمع إلى البخل سوء الخلق، وهو تشبيه الخفي بالجلي، والمتوهم بالمحسوس، والحقير بالخطير.(٥)

﴿ لا سهل فيرتقي، ولا سمين فينتقل﴾ تعني بقولها:"لا سهل فيرتقي" أي الجبل، وتعني بقولها :" ولا سمين فينتقل " أي: اللحم. تريد أنه ليس بسمين فينقله الناس إلى بيوتهم فيأكلونه.(٦)

---

١) المصباح المنير: لأحمد بن محمد الفيومي ص ٣٩٦ طبعة دار الحديث.

٢) المرجع السابق ص ٣٩٥.

٣) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج باب ما يقول إذا ركب إلى سفره الحج وغيره ٩٧٨/٢عن ابن عمر رضي الله عنهما.

٤) المصباح المنير ص ٣٠٩

٥) عمدة القاري ١٦ / ٣٦٨

٦) شرح ابن بطال ٧ / ٢٤٥

وفي رواية أبي عبيد: ﴿ولا سمين فينتقى﴾ من النقي بكسر النون وهو: المخ، تقول: ليس له نقي (بكسر النون وإسكان القاف) أي: ليس له مخ. ويقال: نقوت العظم ونقيته وانتقيته إذا استخرجت نقيه.(١) وهي تريد بذلك: أنه لا نفع فيه، وأنها تتحمل سوء عشرته لذلك، وتشكو سوء خلقه، وقلة خيره.(٢)

ويجوز في ﴿ سهل وسمين ﴾ الوجوه الإعرابية التالية :

الأول: البناء على الفتح: على أساس أنهما اسمان لـ (لا) النافية للجنس.

الثاني: الرفع: وتوجيه ذلك أحد أمرين:

أ ـ إما أنهما اسمان لـ (لا) بمعنى ليس.

ب ـ وإما أنهما خبران لمبتدأين مضمرين، والتقدير:" لا هو سهل ، ولا هو سمين".

الثالث: الخفض: على النعت للجبل، وإهمال عمل"لا" وتقديرها ملغاة في اللفظ لا في المعنى.

وقال القاضي عياض: أحسن الوجوه الرفع؛ لأن قطع الكلام عند تمام التشبيه والتمثيل، وابتداؤه بحكم التفسير والتفصيل أليق بنظم الكلام.(٣) والابتداء حكمه الرفع.

ووقع في رواية عند النسائي بالنصب منونا ومصروفا فيهما ﴿ لا سهلا ولا سمينا﴾، وفي رواية أخري عنده:﴿ لا بالسهل ولا بالسمين ﴾.

﴿ فيرتقي ﴾: بالبناء للمجهول: أي يصعد فيه. ويرتقي: جملة فعلية صفة للجبل، و﴿ ينتقل ﴾ من الانتقال بمعنى النقل، وانتقلت بالشيء إذا نقلته، و ينتقل جملة فعلية صفة للحم. **والمعنى:** لا أحد يرغب فيه؛ لهزاله وضعفه.

---

١) غريب الحديث ١ /٣٦٦، والفائق ٣/٥٠

٢) شرح السنة للبغوي ٥/ ٤٠٢ طبعة دار الفكر.

٣) بغية الرائد ص(٥٢)

معنى قول الزوجة الأولى :

وصفت هذه المرأة زوجها بالبخل، وقلة الخير، وسوء الخلق، وبعده من أن ينال خيره ـ مع قلته ـ كاللحم الهزيل أو الفاسد المنتن الذي يزهد فيه، فلا يطلب، فكيف إذا كان في رأس جبل صعب، وعر، لا ينال إلا بمشقة؟!(١)

﴿ قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره ، إني أخاف أن لا أذره ، إن أذكره أذكر عجره وبجره ﴾ "لا أبث خبره": البث هو: الإظهار والإشاعة والتفريق والنشر، يقال: بث الخبر إذا فرقه ونشره، وخلق الله الخلق فبثهم في الأرض: أي فرقهم ونشرهم، قال تعالى: ﴿ وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ (٢) أي نشر وكثر.

قال ابن منظور والبغوي: لا أبث خبره: أي لا أنشره؛ لقبح آثاره.(٣)

وقال ابن الأثير: البث في الأصل: أشد الحزن والمرض الشديد، كأنه من شدته يبثه صاحبه.(٤) وفي رواية عند الطبراني في المعجم الكبير:﴿ لا أنم خبره ﴾(٥) من النميمة.

﴿ إني أخاف أن لا أذره ﴾ مرجع الضمير" الهاء " أحد أمرين: **الأول:** أن يرجع إلى **الخبر**. أي: خبره طويل إن شرعت في تفصيله لا أقدر على إتمامه. **الثاني:** أن يرجع إلى **الزوج**. وتكون " لا " زائدة. أي: أخاف أن يطلقني فأذره أي: فأتركه، ولا أهتم به، وأهجره ولا أقدر على فراقه؛ للأولاد والأسباب التي بيني وبينه.

---

١) بغية الرائد ص(٤٨)

٢) سورة النساء آية رقم (١) ، وينظر: المصباح المنير ص(٢٧).

٣) شرح السنة ٥/ ٤٠٢ ولسان العرب ٢/ ١١٤

٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٩٥

٥) المعجم الكبير ١٦٥/٢٣

قال الكرماني: التأويل الثالث أن يقال: إن معناه أخاف أن أبث خبره؛ إذ عدم الترك هو الإبثاث والتبيين. ووقع في رواية الزبير بن بكار:﴿ زوجي من لا أذكره ولا أبث خبره﴾ (١)

ولم تستعمل العرب من هذا الفعل" أذر " إلا الأمر والمضارع، وفي القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ (٢) ، وقوله تعالى: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾ (٣)

﴿إن أذكره أذكر عجره وبجره﴾ العجر: بضم العين المهملة وفتح الجيم المعجمة ، والبجر:

بضم الباء الموحدة ، وفتح الجيم المعجمة. وأذكر عجره وبجره جواب " إن"، وقد تعددت الأقوال في العجر والبجر:

- قال الأخفش: العجر: العقد تكون في سائر البدن، والبجر: تكون في القلب.
- وقال ابن الأعرابي: العجرة : نفخة في الظهر، والبجرة : نفخة في السرة.
- وقال اسماعيل بن أبي أويس: العجر: العقد التي تكون في البطن واللسان، والبجر: العيوب.
- وقال الأصمعي: العجر: معقد العروق والعصب في الجسد حتى تراها ناتئة في الجسد. والبجر: كذلك إلا أنها مختصة بالبطن. والبجر: واحدها بجرة، ومنه

---

١) عمدة القاري ١٦/ ٣٦٨

٢) سورة الأعراف من الآية (١٨٦)

٣) سورة المدثر آية (١١)

قيل:رجل أبجر إذا كان عظيم البطن، وامرأة بجراء ويقال: لفلان بجرة: إذا كان نابيء السرة عظيمها.(١)

واستعمل العجر والبجر في العيوب جميعها البادية والخافية، وفي الهموم والأحزان كلها الباطنة منها والظاهرة:

قال ابن منظور : المعنى: " أذكر معايبه التي لا يعرفها إلا من خبره "(٢)

وقال الخطابي وغيره: أرادت بهما عيوبه الباطنة، وأسراره الكامنة.(٣)

وقال ابن الأثير: معنى عجره وبجره: أموره كلها باديها وخافيها.وقيل: أسراره. وقيل: عيوبه. (٤)

قال ابن فارس: يقال في المثل: "أفضيت إليه بعجري وبجري" أي: بأمري كله.(٥)

ومن هذا: قول علي رضي الله عنه في واقعة الجمل:" إلى الله أشكو عجري وبجري" يعني: همومي وأحزاني.(٦) وقيل: العجر: ظاهرها، والبجر: باطنها.

قال الشاعر:

لم يبق عندي ما يباع بدرهم ... عجر حالتي عن بجري

إلا بقايا ماء وجه صنته ... لأبيعه فعسى تكون المشتري(٧)

---

١)غريب الحديث لأبي عبيد ١ / ٣٦٦ ــ ٣٦٧، عمدة القاري ١٦ /٣٦٨، وشرح النووي١٥/٢١٣.

٢) لسان العرب ٤ / ٢٨١٤

٣) شرح النووي١٥/٢١٣ .

٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٩٦

٥) عمدة القاري ١٦ / ٣٦٨

٦) لسان العرب ٤ / ٢٨١٤

٧) عمدة القاري ١٦ / ٣٦٨

معنى قول الزوجة الثانية :

عنت المرأة الثانية أن زوجها كثير العيوب في أخلاقه، منعقد النفس عن المكارم.(١) أي: يفسر كل تصرفات زوجته تفسيرا خاطئا ولو أصابت الحقيقة.

وقال القرطبي: المعنى: أن حديثه حديث طويل فيه عقد لو تحدثت به، لكنها لم تتحدث به؛ لخوفها، ولم تسكت عن حال زوجها بالجملة؛ للعهد الذي أخذته على نفسها، لكنها أومأت إلى شيء من ذلك، أو أنها صرحت جملة بأن له أمورا تعاب. (٢)

﴿ قالت الثالثة: زوجي العشنق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق ﴾

العشنق(بفتح العين المهملة ، والشين المعجمة ، وفتح النون المشددة ، وبالقاف المثناة) له معنيان: أحدهما: حقيقي، والثاني: مجازي:

أما المعنى الحقيقي فهو الطويل المذموم الطول، أو طويل العنق.

- **قال أبو عبيد والزمخشري:** العشنق الطويل.(٣)
- **وقال الثعالبي:** العشنق الطويل المذموم الطول.(٤)
- **وقال الخليل بن أحمد:** العشنق: طويل العنق.(٥)
- **وقال ابن الأثير:** العشنق الطويل الممتد القامة.(٦)

وأما المعنى المجازي فهو المقدام، الجريء، المندفع إلى ما يريد، الشرس في أموره. وقيل: السيء الخلق.(٧)

---

١) شرح ابن بطال٧ / ٢٤٥، ولسان العرب ٤ / ٥٤٢
٢) شرح النووي ١٥ / ٢١٣
٣) غريب الحديث ١/ ٣٦٧ ، والفائق ٣/ ٥٠
٤) عمدة القاري ١٦/ ٣٦٨
٥) المصدر السابق.
٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٢٤١
٧) تاج العروس ٧ / ١٤، وشرح النووي ١٥ /٢١٣، وعمدة القاري ١٦/٣٦٨، والفائق ٣/٥٠

﴿ إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق ﴾ أي: إذا ذكرت عيوبه يطلقني، وإن أسكت أعلق. وإذا علقت الزوجة تكون كالمسجونة،لا هي متزوجة، ولاهي مطلقة. قال تعالى : ﴿ فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ﴾(١)

- **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: المعلقة: هي لا الأيم، ولا ذات البعل.
- **وقال الزمخشري:** هي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة، وهذا من الشكاية البليغة.(٢)
- **وقال قتادة:** هي المسجونة.(٣)

والفعلان: (أطلق وأعلق) بصيغة المبني للمجهول، وهما مجزومان؛ لأنهما جواب الشرط.

معنى قول الزوجة الثالثة :

قال ابن الأثير: أرادت هذه الزوجة أن له منظرا بلا مخبر؛ لأن الطول المفرط في الغالب دليل السفه، وعدم الرشد.(٤)

قال الأصمعي: أرادت هذه الزوجة بذلك أنه ليس عنده أكثر من طول بلا نفع، فإن ذكرت ما فيه من العيوب طلقها، وإن سكتت تركها معلقة، لا أيما ولا ذات بعل.(٥) وأنها لا تنتفع به انتفاع المرأة بزوجها، وليست هي مطلقة فتستريح، وتتفرغ لتهتم بنفسها حتى يرغب فيها غيره من الأزواج، ولا هو أحسن صحبتها فتغتبط به، فهي بائسة، يائسة، محبطة كالشيء المعلق بين العلو والسفل غير المستقر في جهة من الجهات.

---

١) سورة النساء من الآية (١٢٩)
٢) الفائق ٣/ ٥٠ ، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٣ / ٢٤١
٣) زاد المسير في علم التفسير ٢ / ٢٢٠
٤) النهاية ٣ / ٢٤١، والفائق ٣/ ٥٠
٥) غريب الحديث ١ / ٣٦٧

وقال أبو سعيد النيسابوري: الصحيح أن العشنق من الرجال هو الطويل النجيب الذي يملك أمر نفسه، فليس أمره إلى امرأته، بل أمرها إليه، فهو يحكم فيها بما شاء، وهي تخافه.(١)

﴿ قالت الرابعة : زوجي كليل تهامة ، لا حر ولا قر ، ولا مخافة ولا سآمة ﴾

﴿كليل تهامة ﴾ مدحت زوجها، فشبهته بليل تهامة في الاعتدال. وتهامة: بكسر التاء المثناة اسم للمنطقة من ذات عرق إلى البحر وجدة. وقيل: ما بين ذات عرق إلى مرحلتين من وراء مكة، وطرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج، وأولها من قبل نجد مدارج ذات عرق.

وسميت تهامة بهذا الاسم؛ لتغير هوائها، مأخوذ من قولهم: تهم الدهن: إذا تغيرت رائحته. وسمي الحجاز بهذا الاسم؛ لأنه حجز بين تهامة ونجد. ومن خرج من مكة فلا يزال في تهامة حتى يبلغ (عسفان). قال الأصمعي: إذا خلفت عمان مصعدا فقد أنجدت حتى ذات عرق، فإن فعلت ذلك فقد أتهمت حتى البحر.(٢)

﴿ لا حر ولا قر ﴾ أي: لا ذو حر ولا ذو قر، والقر: بضم القاف البرد. يقال: قر يومنا يقر قرة، ويوم قر بفتح القاف: بارد، وليلة قرة: باردة. وتقول: أقر الله عينك: بلغك أمنيتك حتى ترضي نفسك، وتسكن عينك. ويقال: قرت عينه بكذا: أي سرت عينه به وفرح.(٣)

وخصت تلك الزوجة زوجها بهذا المثل:﴿ لا حر ولا قر﴾ لحسن خلقه، وسهولة أموره؛ لأن في كل واحد من الحر والقر أذى إذا اشتد، وليس عنده أذى

---

١) شرح ابن بطال ٢٤٦/٧، وعمدة القاري ١٦/ ٣٦٨

٢) معجم البلدان ٢ / ٦٣

٣) المصباح المنير ص ٢٩٥، ومختار الصحاح ص ٥٢٨ ــ ٥٢٩ .

أو مكروه. ومعلوم أن للعين دمعتين: الأولى: باردة: وهي دمعة الفرح والسرور. والثانية: حارة ساخنة: وهي دمعة الحزن والأسى.

﴿ ولا مخافة ولا سآمة ﴾ أي ليست عنده غائلة، لا أخاف شره. ولا يسأمني فيمل صحبتي.(١)

معنى قول الزوجة الرابعة :

قال ابن الأثير: أرادت أنه لا ذو حر، ولا ذو برد، فهو معتدل، وأرادت بالحر والبرد الكناية عن الأذى، فالحر عن قليله، والبرد عن كثيره. (٢)

وقال أبو عبيد: أرادت هذه المرأة أن تصف زوجها بأنه ليس عنده أذى ولا مكروه، ولا شر فيه يخاف.(٣)

﴿ قالت الخامسة: زوجي إذا دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد ﴾

(فهد ، أسد) تضبط هاتان الكلمتان على أنهما فعلان ماضيان مأخوذان من اسمي الفهد والأسد، فتكسر الهاء والسين، وتفتح الدال فيهما على البناء. والمراد بقولها فهد: أي نام وغفل عن معايب البيت التي يلزم إصلاحها، والفهد: كثير النوم، فتصفه بالكرم وحسن الخلق.(٤)

قال عبد الملك بن حبيب: شبهته في لينه وغفلته بالفهد؛ لأنه يوصف بالحياء، وقلة الشر، وكثرة النوم، ولا يتتبع عورات أهله.(٥)

---

١) شرح السنة ٤٠٣/٥

٢)النهاية ٣٨/٤

٣) غريب الحديث ١/ ٣٦٧

٤) شرح السنة للبغوي ٥/ ٤٠٣

٥)النهاية ٣ / ٤٨١، شرح النووي على مسلم ١٥ / ٢١٤، وفتح الباري ٣١٢/١٩

وقد حمل أكثر العلماء المراد بالاشتقاق من الفهد على أحد أمرين:

الأول: قوة وثوبه. الثاني: طول نومه. وفي المثل: أنوم من فهد.(١)

والمراد بقولها أسد: أي إذا خرج إلى لقاء العدو خافه كل شجاع وكان كالأسد الذي خافه كل سبع، فشبهته في شجاعته في الحروب بالأسد. قال ابن السكيت: تصفه بالنشاط في الغزو.(٢)

﴿ ولا يسأل عما عهد ﴾ أي: لا يتفقد ما ذهب من ماله؛ لسخائه، ولا يلتفت إلى معائب البيت وما فيه كأنه ساه عن ذلك؛ لسعة صدره. وهذا يقتضي تفسيرين لعهد:

الأول: عهد سابق يرجع إلى تفقد المال.

الثاني: عهد حالي بمعنى الإغضاء عن العيوب.(٣)

وكثيرا ما وصفت العرب الكرماء والسادة بالتغافل والحياء في بيوتها وأنديتها:

قالت ليلى الأخيلية:

تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما(٤)

معنى قول الزوجة الخامسة :

وصفت هذه المرأة زوجها إذا دخل البيت بالوثوب وثوب الفهد، كأنها تريد المبادرة إلى الجماع والوقاع، فتمدحه؛ لفحولته ورجولته، ووصفته إذا دخل المنزل أيضا بالغفلة في منزله، ولا يسأل عما ذهب من أمواله وما بقي، ولا يدقق في حساباته، ويتغافل عمدا إن رأى تجاوزا، ويسامح وهو غير عاجز، ويعفو وهو قادر.

---

١) مجمع الأمثال ٢ / ٢٠٨

٢)عمدة القاري ٣٦٩/١٦.

٣) بغية الرائد ص (٧٠)

٤) بغية الرائد ص (٧٢)

ووصفته بالشجاعة والإقدام كالأسد إذا خرج من البيت، وخالط الناس، أو شارك في الحروب.

وقال القاضي عياض: قد قلب الوصف بعض الرواة فقال:﴿ إن دخل أسد، وإن خرج فهد ﴾، فإذا كان محفوظا فمعناه: أنه إذا خرج إلى مجلسه كان في غاية الرزانة والوقار والحياء وحسن السمت، أو أنها وصفته إذا خرج بالكسب. وإذا دخل منزله كان متفضلا مواسيا؛ لأن الأسد يوصف بأنه إذا افترس أكل من فريسته بعضا، وترك الباقي لمن حوله من الوحوش، ولم يهاوش عليها. (١)

﴿ قالت السادسة : زوجي إن أكل لف ، وإن شرب اشتف ، وإن اضطجع التف ، ولا يولج الكف؛ ليعلم البث ﴾(إن أكل لف) اللف في الأكل: الإكثار من الطعام، والتخليط من صنوفه، واستقصاؤه حتى لا يترك منه شيئا. يقال: لف الكتيبة في الحرب إذا خلطها بالأخرى، ومنه: اللفيف من الناس.

قال أبو عبيد: اللف في المطعم: الإكثار منه مع التخليط من صنوفه حتى لا يبقى منه شيئا.(٢) وأرادت: أنه يخلط صنوف الطعام من نهمته وشرهه ثم لا يبقي منه شيئا ، فهو يلف كل ما يجده من الأطعمة. (٣)

وفي رواية النسائي:﴿ إذا أكل اقتف ﴾ ومعناه قريب من اللف، قال الخليل: قفاف كل شيء: جماعه واستيعابه، ومنه سميت القفة؛ لجمعها ما وضع فيها.

قال صاحب الجمهرة : القفة وعاء تجعل فيه المرأة غزلها وشبهه، ومنه سمي القفاف الذي يسرق بكفه؛ لأنه يجمع ويضم. قال الشاعر:

---

١) المصدر السابق (٧٨ ــ ٧٩)

٢) غريب الحديث ٣٦٧/١ ، الفائق ٣/ ٥٠

٣)لسان العرب ٩ / ٣١٩، وعمدة القاري ٢٠/ ١٧٤، وفتح الباري ٩/ ٢٦٤، وشرح النووي ١٥ / ٢١٤

فقف بكفه سبعين منها (١)

﴿وإن شرب اشتف﴾ الاشتفاف في الشرب: استقصاء ما في الإناء، والاشتفاف: مأخوذ من الشفافة، وهي: البقية تبقى في الإناء، فإذا شربها الذي شرب الإناء قيل : اشتف.(٢) ومن رواه ﴿ استف ﴾ بالسين المهملة فهو قريب من معنى الاستقصاء والإكثار.

﴿ وإن اضطجع التف ﴾ يعني تلفف بكسائه وثوبه ورقد ناحية، وانقبض عن أهله إعراضا. (٣)

﴿ ولا يولج الكف؛ ليعلم البث ﴾ أي:لا يدخل يده ليعلم ما يحزنني أمره.

قال ابن منظور: البث: الحزن والغم الذي تقضي به إلى صاحبك. والبث: الأمر الذي لا يصبر عليه. والبث: الشكوى، والبث في الأصل: أشد الحزن والمرض الشديد، كأنه من شدته يبثه صاحبه. قال تعالى: ﴿ قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله ﴾.(٤) قال ابن الجوزي : البث: أشد الحزن، سمي بذلك؛ لأن صاحبه لا يصبر عليه حتى يبثه.

ويحتمل قولها هذا إما معنى المدح أومعنى الذم:

فعلى الأول يكون المعنى:

أنه كان بجسدها عيب أو داء، وكان لا يدخل يده في ثوبها فيمسه؛ لعلمه أن ذلك يؤذيها، فتصفه باللطف .(٥)

---

١) لسان العرب ٩ / ٢٨٨ ، بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ص(٨٠)

٢) لسان العرب ٩ / ١٨٠

٣) لسان العرب ٩ / ٣١٩

٤) سورة يوسف من الآية (٨٦) وينظر: النهاية ١ / ٩٥، ولسان العرب١/ ٢٠٨، وبغية الرائد ص٨١

٥) النهاية في غريب الحديث ١ / ٩٥ ، ولسان العرب ١ / ٢٠٨

وعلى الثاني يكون المعنى :

لا يتفقد أمور أهله ومصالحهم، ولا يبالي أن يجوعوا. وهذا التعبير كناية عن ترك تفقده أمورها، وماتهتم به من شؤونها، مثل قولهم: " لا يدخل يده في الأمر " أي: لم يشتغل به، ولم يتفقده.

معنى قول الزوجة السادسة :

قال القاضي عياض: هذه امرأة ذمت زوجها؛ فوصفته أولا باللؤم، والبخل، والبرم، والنهامة، والجرازة، وسوء المعاشرة والمرافقة، وأنه لا يبقي فيما يأكل ويشرب ولا يذر، ويجمع كل مايجده من ذلك ويحطمه، وليس هذا من مكارم الأخلاق.(١)

﴿ قالت السابعة: زوجي غيا ياء - أو عيا ياء - طباقاء ، كل داء له داء، شجك، أو فلك، أو جمع كلا لك ﴾.

﴿ غياياء أو عياياء طباقاء ﴾ هذا الكلمات من صيغ المبالغة التي على وزن فعال، وقد ألحقت بها الألف الممدودة مثل: ثلاثاء، ونحوها، و" أو" في قوله:﴿غياياء أو عياياء ﴾ للشك، والأكثر روايته بغيره، وإنما صدر هذا الشك والتردد في الرواية المتفق عليها من الراوي عيسى بن يونس، وهو دليل على شدة حذره، وأمانته، و تحريه، واحتياطه.

والعياياء: (بالعين المهملة) فعالاء من العي، وهو من الناس العنين: الذي تعييه مباضعة النساء، وهو من الإبل: الذي عي بالضراب أي لا يضرب ولا يلقح.

قال أبو عبيد: العياياء من الإبل: الذي لا يضرب ولا يلقح، وكذلك هو من الرجال.(٢)

---

١) بغية الرائد ص ٨١

٢) غريب الحديث١/ ٣٦٨، والنهاية ٣ / ٣٣٤، ولسان العرب ٤ / ٣٢٠٢، والفائق ٣/ ٥٠

والغياياء : (بالغين المعجمة) قال القاضي عياض: مأخوذ من أحد أمرين:

الأول: الغاية، وهي كل ما أظل الإنسان فوق رأسه من سحاب وغيره. ومنه الحديث: ﴿ تجيء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان أو غيايتان ﴾(١) أي: سحابتان، فكأنه في غاية، وظلمة لا يهتدي إلى مسلك ينفذ منه، ولا يتصرف، ولا يتوجه لوجه، فغطي عليه من جهله، وسترت عنه مصالحه.

الثاني: أو مأخوذ من الغي: وهو الانهماك في الشر، أو من الغي بمعنى الخيبة، قال تعالى: ﴿ فسوف يلقون غيا ﴾(٢) فكأنه خائب من كل فضيلة.(٣)

﴿ طباقاء ﴾ مثل: غياياء في المعنى، قال ابن الأعرابي: الطباقاء هو المطبق عليه حمقا. وقال ابن دريد: هو الذي تنطبق عليه أموره فلا يهتدي لوجهتها. وقال الأصمعي: هو الذي أموره منطبقة عليه. وقال أبو عبيد : هو الغبي الأحمق.(٤) وكل هذه الأقوال قريبة في معانيها.

وحكى بعضهم في تفسير الطباقاء من الرجال: الثقيل الصدر الذي يطبق صدره على صدر المرأة عند المباضعة.(٥) ويجوز أن تكون قد وصفته بثقل الروح، وتبلد المشاعر، وأنه كالظل المتكاثف المظلم الذي لا إشراق فيه.(٦)

﴿ كل داء له داء ﴾ أي: كل ما تفرق في الناس من الأدواء والمعايب موجود فيه. وخبر (كل) جملة { له داء }.

---

١)أخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ١/ ٥٥٣.

٢) سورة مريم من الآية (٥٩)

٣) بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ص ٨٩ ــ ٩٠

٤) غريب الحديث ١/ ٣٦٩، والفائق ٣/ ٥١

٥) شرح ابن بطال ٧ / ٢٤٦

٦) النهاية ٣ / ٤٠٤

﴿ شجك ، أو فلك ، أو جمع كلا لك ﴾شجك (بمعجمة وجيم مشددة) أي: جرحك في رأسك. وفلك: (بفاء موحدة ولام مشددة) أي جرح جسدك، وزاد ابن السكيت: " أو بجك " أي طعنك. والمراد: أنه ضروب للنساء، فإذا ضرب فإما أن يشج رأسا، أو يجرح جسدا، أو يجمع الأمرين معا.

قال الهروي: الشج: الجرح في الرأس خاصة، والفل: في سائر الجسد.

وقال ابن الأثير: الفل: الكسر والضرب، تقول: إنها معه بين شج رأس، أو كسر عضو، أو جمع بينهما. وقيل: أراد بالفل الخصومة. (١)

معنى قول الزوجة السابعة :

وصفت هذه الزوجة زوجها بالحمق، والتناهي في جميع النقائص والعيوب، وسوء العشرة مع الأهل، وعجزه عن حاجتها، مع ضربها وأذاه إياها، وأنه إذا حدثته سبها، وإذا غضب منها شجها في رأسها، أو كسر عضوا من أعضائها، أو طعنها، أو جمع ذلك كله لها. (٢)

﴿ قالت الثامنة: زوجي المس مس أرنب ، والريح ريح زرنب ﴾ الزرنب: على وزن فعلل. قال ابن منظور: هو ضرب من النبات طيب الرائحة. وقيل: ضرب من الطيب. وقيل: شجر طيب الرائحة.(٣)وقال ابن الأثير: الزرنب: نوع من أنواع الطيب. وقيل: هو نبت طيب الريح. وقيل: هو الزعفران.(٤)

وأما تشبيهها إياه بريح الزرنب ففي وجه الشبه تأويلات:

الأول : قصدت بذلك طيب ثنائه في الناس.

---

١) النهاية ٣ / ٤٧٢ ، ولسان العرب ٣٤٦٥ ، والفائق ٣/ ٥١

٢) بغية الرائد ص (٩١ ــ ٩٢)

٣) لسان العرب ٣ / ١٨٢٩

٤) النهاية ٢ / ٣٠١، والفائق ٣/ ٥١.

الثاني : قصدت بذلك طيب جسده، وعطر أردانه.

الثالث : قصدت بذلك لين عريكته، وحسن خلقه.(١)

وعند النسائي زيادة:﴿ **وأنا أغلبه، والناس يغلب** ﴾ وصفته في هذه الزيادة مع ماتقدم من لين جانبه، وجميل عشرته لها، وصبره عليها، بالشجاعة والحزم مع الناس. فهو احتراس في غاية الحسن.

والاحتراس: هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. أي يؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام. نحو قوله تعالى:﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾(٢) فإنه تعالى لو اقتصر على وصفهم بأذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلك؛ لضعفهم، وهذا خلاف المقصود، فأتى على سبيل التكميل بقوله جل شأنه: ﴿ أعزة على الكافرين ﴾(٣)

معنى قول الزوجة الثامنة :

وصفت هذه الزوجة زوجها بحسن الخلق والعشرة مع أهله، ولين الجانب معهن كمس الأرنب إذا وضعت يدك على ظهره؛ فوبره ناعم جدا. كما وصفته بالشجاعة والحزم مع لين الجانب، فاستحق ثناء الناس عليه.(٤)

﴿ **قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرماد ، قريب البيت من الناد** ﴾.﴿ **رفيع العماد** ﴾ أي: عالي البيت، كناية عن الشرف والرفعة والحسب؛ فإن الأشراف كانوا يعلون بيوتهم، ويضربونها في المواضع المرتفعة؛ ليقصدهم الطارقون والوافدون.

---

١) الفائق في غريب الحديث ٣/ ٥١

٢) سورة المائدة من الآية (٥٤)

٣) التعريفات للجرجاني ص (٨)

٤) عمدة القاري ١٦/ ٣٧٠، وبغية الرائد ص ٩٤

﴿ **طويل النجاد** ﴾ النجاد:(بكسر النون وتخفيف الجيم) حمائل السيف، والمراد: طول قامته؛ فإنها إذا طالت طال نجاده، وكانت العرب تمدح بالطول وتذم بالقصر، وهو من أحسن الكنايات.(١)

﴿ **عظيم الرماد** ﴾ **الرماد** : دقاق الفحم من حراقة النار، وما هبا من الجمر، فصار دقاقا، والطائفة منه رمادة. وقولها: " عظيم الرماد " كناية عن كونه مضيافا أي كثير الأضياف والإطعام؛ لأن الرماد يكثر بالطبخ.(٢)

﴿ **قريب البيت من الناد** ﴾ الناد: أصله النادي، حذفت الياء للسجع، ويقال: ندي ومنتدى قال تعالى: ﴿ في ناديكم المنكر﴾ (٣) وقال أيضا: ﴿ وأحسن نديا ﴾ (٤) **والنادي** : مجلس القوم أي: مجتمع رجال الحي، ومجلس مشورتهم وحديثهم، فيقع على المجلس وأهله، وكذلك كانت بيوت الأشراف بين مجالس القوم؛ لتسهل مراجعتهم في الأمور ومشاورتهم، وليغشاه الأضياف والطراق.(٥)

معنى قول الزوجة التاسعة :

وصفت هذه الزوجة زوجها بالشرف في نسبه، والسؤدد في قومه، والكرم، وكثرة الإطعام، وكثرة الضيفان والطراق؛ لمشاورته ومراجعته كما وصفته بالحزم، والحذر، وحماية الغير أوقات الخوف والذعر، وأنه ممن لا يكل الأمر إلى غيره بل يباشره بنفسه. (٦)

---

١) النهاية ٥/ ١٩، تفسير حديث أم زرع للسيوطي ص ٢٢٦.

٢) لسان العرب ٣ / ١٧٢٦ ، والنهاية ٢ / ٢٦٢ ، وشرح السيوطي ص ٢٢٦ .

٣) سورة العنكبوت من الآية (٢٩)

٤) سورة مريم من الآية (٧٣)

٥) شرح السيوطي ص ٢٢٦ ، والنهاية ٥ / ٣٦

٦) بغية الرائد ص ٩٥ ــ ١٠٤ ، وعمدة القاري ١٦ / ٣٧٠

﴿ قالت العاشرة : زوجي مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك ، قليلات المسارح ، وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك ﴾.

﴿ مالك ، وما مالك ؟ ﴾ ما: استفهامية جيء بها؛ للتعظيم والتفخيم والتعجب، وحقيقة الكلام: ما مالك؟ ما هو؟ أي شيء هو؟ ما أعظمه وما أكرمه!، ونظيره من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ الحاقة ، ما الحاقة ﴾ (١) ، وقوله: ﴿القارعة، ما القارعة ﴾(٢)، وقوله تعالى أيضا: ﴿ وأصحاب اليمين ، ما أصحاب اليمين ﴾(٣) ونحو ذلك.

ويعرب "مالك"الأول: مبتدأ أول. و"ما": في موضع رفع مبتدأ ثان. ومالك الثاني: خبر المبتدأ الثاني، والجملة خبر المبتدأ الأول، ومالك الثالث: مبتدأ ثالث وما بعده خبره.

وأما تكرير مالك هنا فليس من عيب الكلام؛ لأن الإظهار هنا أبلغ من الإضمار؛ لما فيه من التعظيم والتعجب، ولأن التكرار إنما يقبح إذا كان على غير هذا الوجه، وكان في جملة واحدة. فإذا كان في جمل مختلفة فليس بعيب، بل هو من باب البلاغة.

قال القاضي عياض: " وقد عد الحاتمي وغيره هذا النوع ــ بهذا الضابط ــ من أبواب البديع، وسماه: الترديد، وهو: أن يعلق الشاعر لفظة في البيت ــ أو الناثر في الفصل ــ بمعنى ثم يرددها فيه، ويعلقها بمعنى آخر."(٤)

﴿ مالك خير من ذلك ﴾ زيادة في الإعظام، وتفسير لبعض الإبهام، فالإشارة بقولها: ﴿ ذلك ﴾ تعود إلى ما تعتقده فيه من صفات المدح، أو إلى ما ستذكره

---

١) سورة الحاقة الآيتان ١ و٢

٢) سورة القارعة الآيتان ١ و٢

٣) سورة الواقعة الآية رقم (١٧)

٤) بغية الرائد ص ٢١١

به، أو إلى ما تقدم من الثناء على الذين قبله. فهو خير مما أشير إليه من ثناء وذكر، وفوق ما تعتقده فيه من فخر وسؤدد، وقدره يعلو على كل قدر.

﴿ له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح ﴾ المبارك: هي المواضع التي تبرك فيها الإبل (١)، والمسارح: جمع مسرح، وهو: الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرعي.

تصف الزوجة العاشرة زوجها بكثرة الإطعام وسقي الألبان: أي أن إبله على كثرتها لا تغيب عن الحي، ولا تسرح إلى المراعي البعيدة، ولكنها تبرك بفنائها؛ ليقري الضيفان من لبنها ولحمها؛ خوفا من أن ينزل به ضيف وهي بعيدة عازبة.

وقيل: معناه: إن إبله كثيرة في حال بروكها، فإذا سرحت كانت قليلة؛ لكثرة ما نحر منها في مباركها للأضياف. (٢)

ومعنى قولها في الرواية الأخرى﴿ كثيرة المسالك، قليلة المبارك ﴾ أنها كثيرة في حال سروحها ورعيها، قليلة في مباركها؛ لكثرة ما نحر منها. أو أنها كثيرة مسالك سبل الخير والمعروف.

وهذا التعبير كناية عن قلة بقائها في ملكه، وبروكها بفنائه؛ لكثرة خروجها عن يده. ومعنى قولها في الرواية الأخرى: ﴿ كثيرة المسارح، قليلة المبارح ﴾ أي: أنها في ذاتها كثيرة، فهي كثيرة المسارح لذلك، ومع كثرتها فهي قليلة المبارح، أي: لا تبرح عن قرب منزله؛ للحاجة إلى نحرها. (٣)

---

١) النهاية ١ / ١٢١

٢) النهاية ٢/ ٣٥٧ ، ولسان العرب ٣ / ١٩٨٤، والفائق ٣/٥٢ .

٣) بغية الرائد ص ١١٤ ــ ١١٥

﴿ وإذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك ﴾ **المزهر**: ورد في ضبطه وجهان:

الأول: (بكسر الميم وسكون الزاي وفتح الهاء) وهو: آلة من آلات اللهو تسمى العود يضرب به، ويغنى فيه.(١) وقيل : دف مربع.(٢)

الثاني :(بضم الميم وكسر الهاء) **قال أبو سعيد النيسابوري**: لم تكن العرب تعرف العود إلا من خالط الحضر منهم، والذي نذهب إليه: أنه المزهر، وهو الذي يزهر النار للأضياف. قال **الزمخشري**: وقيل: الذي يزهر النار للأضياف، يقال: زهر النار وأزهرها، أي: أوقدها.(٣)

ورجح **القاضي عياض** الوجه الأول فقال:" والذي رواه الناس كلهم" المزهر" (بكسرالميم وسكون الزاي وفتح الهاء) وهو الصواب، ولا نعرف أحدا رواه " المزهر "(بضم الميم وكسر الهاء) ــ كما قاله النيسابوري ــ وإن كان يصح؛ لأن زهور السراج والنار: تلالؤ ولمعان سناها ونورها.

وقوله: " إن العرب كانت لا تعرف العود إلا من خالط الحضر منهم " فمن أخبره أن مالكا المذكور لم يخالط الحضر؟! وقد ذكرنا في بعض طرق هذا الحديث أن قرية من قرى اليمن، وذكر أنه اجتمع بها إحدى عشرة امرأة، والقرى هي: الحواضر والمدن. قال تعالى: ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾(٤) وفي الطريق الآخر: أنهن من قريش، وأنهن من أهل مكة، وقد ذكرت المزاهر وأشباهها في أشعار العرب جاهليها وإسلاميها، بدويها وحضريها.

---

١) لسان العرب ٣ / ١٨٧٨

٢) شرح السيوطي ص ٢٢٦

٣) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣/٥٢

٤) سورة الزخرف من الآية (٣١)

قال الأعشى:

جالس حوله الندامى فما ينـ ـفك يؤتى بمزهر مندوف(١)

وفي رواية ابن الأنباري:﴿ وهو إمام القوم في المهالك ﴾ في المراد بالمهالك معنيان:

الأول: الحروب: فتكون قد وصفته بالشجاعة، ولثقته بشجاعته يتقدم القوم ولا يتخلف.

الثاني: السبل الخفية عليهم من المفاوز والبيداء: وسميت مهالك؛ لإهلاكها لسالكها. فتكون قد وصفته بمعرفته بالهداية في المفاوز والقفار.

وفي تسمية الطرق الخفية مفاوز ثلاثة وجوه :

الأول : على طريق التفاؤل؛ ليفوز سالكها كما قالوا للديغ سليم.

الثاني : سميت مفازة؛ لأن من قطعها وجاوزها فاز من الهلاك.

الثالث : الفوز بمعنى الهلاك، يقال: فوز الرجل إذا هلك.(٢)

معنى قول الزوجة العاشرة :

وصفت هذه المرأة زوجها بالكرم، وكثرة الضيافة، والاستعداد للضيفان، والمبالغة في برهم وإكرامهم، وبالشجاعة والإقدام، وبالخبرة في معرفة الطرق والسبل الوعرة.

﴿ **قالت الحادية عشرة** : زوجي أبو زرع ، فما أبو زرع ؟ ! أناس من حلي أذني ، وملأ من شحم عضدي ، وبجحني فبجحت إلي نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل، وأطيط، ودائس ، ومنق ، فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقنح ﴾

---

١) بغية الرائد ص ١١٢

٢) المرجع السابق ص ١١٥ ــ ١١٦

﴿ الحادية عشرة ﴾ بإثبات علامة التأنيث في الكلمتين على المشهور، وتضبط بإسكان شين عشرة وبكسرها، ولا تكون الحادية عشرة إلى التاسعة عشرة إلا مفتوحة الجزأين، مثل مافعلوا في إحدى عشرة على الراجح؛ لأنها كالمركب المزجي مثل: " بعلبك، وحضرموت".

وقال القاضي عياض: وقع لبعض شيوخنا في رواية هذا الحديث: " قالت الحادي عشرة "، ولبعضهم " الحادية عشر "، وهذا كله خطأ لا مخرج له إلا على بعد وتكلف وجه. (١)

﴿ أناس من حلي أذني ﴾ ناس ينوس: تدلى واضطرب وتحرك، وكل شيء يتحرك متدليا فقد ناس ينوس نوسا، وأناسه غيره.(٢) قال أبو عبيد: النوس: الحركة من كل شيء متدلي.(٣) والنوس: تذبذب الشيء، وبابه قال.(٤) والحلي: (بضم الحاء المهملة، وقيل بكسرها) وهو كل ما تحلي به من ذهب وفضة وجوهر وشبهه. وسمي الحلي نوسا مثل: ذوائب المرأة؛ لأنه يتحرك كثيرا.

وقال أبو عبيد : وأخبرني ابن الكلبي أن ذا نواس ملك اليمن، إنما سمي بهذا لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقيه.(٥) أرادت: أنه حلى أذنيها قرطة وشنوفا(٦) تنوس أو تتحرك بأذنيها.(٧)

---

١) بغية الرائد ص ١١٨

٢) لسان العرب ٦ / ٤٥٧٥ ، والنهاية ٥ / ١٢٧

٣) غريب الحديث ١ / ٣٧١

٤) مختار الصحاح ص ٦٨٥

٥) غريب الحديث ١/ ٣٧١

٦) الشنف: القرط الأعلى، والجمع شنوف كفلس وفلوس مختار الصحاح ص ٣٤٨ .

٧) الفائق ٣ / ٥٢

﴿ وملأ من شحم عضدي ﴾ العضد: ما بين الكتف والمرفق، ولم ترد العضد وحده، وإنما أرادت الجسد كله؛ لأن العضد إذا سمن سمن سائر الجسد. (١)

قال النووي: وقال العلماء: معناه: أسمنني بإحسانه إلي، وملأ بدني شحما، ولم ترد اختصاص العضدين لكن إذا سمنتا سمن غيرهما.(٢)

ووجه اختصاصها للعضد بذلك؛ لأنه الأقرب إلى بصر الإنسان من جسده، وأول ما يظهر له فيه سمنه. (٣)

﴿ وبجحني فبجحت إلي نفسي ﴾ بتشديد الجيم في ﴿ بجحني ﴾، وبكسر الجيم وفتحها في: ﴿ فبجحت ﴾ لغتان مشهورتان، أفصحهما الكسر.(٤) وبجح به بجحا: فرح وفخر، وبجح الشيء: عظمه، وأبجحه: أفرحه، وابتجح: فرح وافتخر وتباهى، وتباجحوا: تفاخروا، وتباهوا.(٥)

وقولها: ﴿ وبجحني فبجحت إلي نفسي ﴾ أي: فرحني ففرحت. وقيل: عظمني فعظمت نفسي عندي. وقيل: وسع علي وترفني.(٦)

قال الراعي:

وما الفقر عن أرض العشيرة ساقنا ... إليك ولكنا بقربك نبجح

أي: نفرح، أو بقرابتنا منك نفخر. وقد وصفته بأنه أحسن إليها، وحلاها، ورفه عيشها، وسمنها، وأراها المسرة في أحوالها.

﴿وجدني في أهل غنيمة بشق ، فجعلني في أهل صهيل ، وأطيط ، ودائس ، ومنق ، فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقنح ﴾

---

١) النهاية ٣ / ٢٥٢

٢) شرح النووي ١٥ / ٢١٧ ، وغريب الحديث ١ / ٣٧١

٣) بغية الرائد ص ١٢١

٤) غريب الحديث ١/ ٣٧٢، وشرح النووي ١٥ / ٢١٧

٥) المعجم الوسيط ص ٣٨ ، وغريب الحديث ١ / ٣٧١

٦) غريب الحديث ١/ ٣٧١ ــ ٣٧٢ ، بغية الرائد ص ١١٩

﴿ غنيمة ﴾ بضم الغين مصغرا، أرادت: أن أهلها كانوا أصحاب غنم لا أصحاب خيل وإبل؛ لأن الصهيل أصوات الخيل، والأطيط أصوات الإبل وحنينها، والعرب لا تعتد بأصحاب الغنم، وإنما يعتدون بأهل الخيل والإبل.

﴿ بشق ﴾ بكسر الشين وفتحها. قال ابن الأنباري: هو بالكسر والفتح. والمشهور عند المحدثين: كسرها، وعند أهل اللغة فتحها. قال أبو عبيد: هو بالفتح والمحدثون: يكسرونه.(١)

وفي معناه ثلاثة أقوال :

الأول : اسم موضع كانوا فيه.

الثاني : شق الجبل: أي ناحيته. وهو كناية عن قلتهم وقلة غنمهم.

الثالث: بالكسر: الشظف من العيش والجهد منه. قال ابن دريد: يقال: هو بشق وشظف من العيش أي بجهد منه.

وعن المعنى الثالث قال القاضي عياض: هو بالحديث أولى وأصح لغة ومعنى.(٢)

﴿ فجعلني في أهل صهيل ، وأطيط ﴾ الصهيل: صوت الفرس.(٣) والأطيط: الحنين والصوت.(٤) وقال أبو عبيد: الأطيط: أصوات الإبل. ومن أمثال العرب: لا أفعل ذلك ما أطت الإبل. (٥) قال ابن الأثير: في أهل إبل

١) غريب الحديث ١/ ٣٧٢
٢) بغية الرائد ص (١٢٢)
٣) مختار الصحاح ص ٣٧٢
٤) الفائق في غريب الحديث ١/ ٤٩
٥) غريب الحديث ١/ ٣٧٢. بغية الرائد ص١٢٣

وخيل.(١) وقال ابن الأثير أيضا: تريد أنها كانت في أهل قلة، فنقلها إلى أهل كثرة وثروة؛ لأن أهل الخيل والإبل أكثر مالا من أهل الغنم.(٢)

﴿ ودائس ، ومنق ﴾ الدائس: اسم فاعل من الدوس، وهو الذي يدوس الطعام ويدقه؛ ليخرج الحب من السنبل، وهو: الدياس، وقلبت الواو ياء؛ لكسرة الدال. (٣) والدوائس: البقر العوامل في الدوس. يقال: قد ألقوا الدوائس في بيدرهم(٤)، والدوس: شدة وطء الشيء بالأقدام.(٥)

﴿ ومنق ﴾ بضم الميم وفتح النون وتشديد القاف، ومنهم: من يكسر النون، والمشهور فتحها. قال أبو عبيد: هو بفتحها، والمحدثون يكسرونه، ولا أدري ما معناه. وقال القاضي: بالفتح.(٦)

والمنق: (بالفتح) هو من ينقي الطعام، أي يخرجه من قشره وتبنه، وحكى الهروي عن بعضهم: المنقي: الغربال. والمنق: (بالكسر) من النقيق وهو الصوت، والمراد نقيق أصوات المواشي والأنعام. تصفه بكثرة أمواله.(٧)

قال أبو سعيد النيسابوري: مأخوذ من نقنقة الدجاج، ويقال: أنق الرجل إذا كان له دجاج تنقنق، أي: أنهم أهل طير أيضا. قال ابن الأثير: والفتح أشبه؛ لاقترانه بالدائس، وهما مختصان بالطعام.(٨)

١) النهاية ١ / ٥٤
٢) النهاية ٣ /٦٣
٣) النهاية ٢/ ١٤٠، والفائق ٥٢/٣
٤) البيدر: الموضع الذي يداس فيه الطعام. مختار الصحاح ص(٤٣)
٥) لسان العرب ٢ / ١٤٥٤
٦) شرح النووي ١٥ / ٢٢٨ ، وبغية الرائد ص(١٢٥)
٧) الفائق ٥٢/٣
٨) بغية الرائد ص(١٢٥) ، والنهاية ٥ / ١١٠ و ١١١

﴿ فعنده أقول فلا أقبح ، وأرقد فأتصبح ، وأشرب فأتقنح ﴾ معناه: لا يقبح قولي فيرده بل يقبله مني، أو لا يقول لي: قبحك الله. ومعنى أتصبح: أنام الصبحة، وهي بعد الصباح أي أنها مكفية بمن يخدمها فتنام، و﴿ أشرب فأتقنح ﴾ بالنون بعد القاف، والتقنح: الشرب فوق الري.(١) وقد وردت ﴿ فأتقمح ﴾ بالميم خارج الصحيحين، وقنح الشارب قنحا وتقنحا: تكاره على الشرب بعد الري فتقمح.(٢) يقال: شرب فتقمح وانقمح إذا رفع رأسه وترك الشرب ريا.(٣)

والمعنى على الروايتين: أي أقطع الشرب وأتمهل فيه، أو أدع الشراب من شدة الري. وقيل: هو الشرب بعد الري.(٤)

زاد الهيثم: ﴿ وآكل فأتمنح ﴾ أي أطعم غيري (٥) ، يقال: منحه يمنحه إذا أعطاه، وأصله من المنحة والمنيحة، وهي: أن يجعل الرجل للرجل لبن ماشيته مدة ثم يردها، ثم صارت كل عطية منحة.(٦)

والسر في التعبير بلفظة أتمنح على وزن " أتفعل": هو الإشارة إلى تكرار الفعل وملازمته للفاعل،

ومطالبة نفسه أو غيره به. وقد جاءت بفاء التعقيب للتنبيه على أن إعطاءها بعد أكلها وتمام حاجتها مباشرة.(٧)

---

١) الفائق ٣/٥٢

٢) المعجم الوسيط ص ٧٦١ ــ ٧٦٢

٣) لسان العرب ٥ / ٣٧٣٤

٤)النهاية ٤ / ١١٢ ، ولسان العرب ٥ / ٣٧٣٤ و ٣٧٤٨ ، وشرح النووي ١٥ / ٢١٨

٥) تفسير حديث أم زرع للسيوطي ص ٢٢٨، النهاية ٤/ ٣٦٤

٦) النهاية ٤/ ٣٦٤، ولسان العرب ٦/٤٢٧٥ ،

٧) بغية الرائد ص ١٢٨ ــ ١٣٠

المعنى : وصفت بر زوجها بها، وتدللها عليه، وكثرة إحسانه إليها بأمور:

أولها: أنه لا يرد قولها، ولا يقبح ما تأتي به من كلام؛ لإكرامه لها، وميله إليها.

وثانيها: أنها تنام صبحتها، ولا تنبه من نومها حتى تنتبه، ولزم من ذلك أن غيرها يقوم بمؤونة بيتها، وأن لها من الخدم من يكفيها ذلك.

وثالثها: أنها تشرب حتى لا تجد له مساغا، فتكره الشرب لتمام ريها، وأنه تأكل وتفضل لها فضلات تمنحها سواها.

﴿ أم أبي زرع : فما أم أبي زرع ؟! عكومها رداح ، وبيتها فساح﴾

﴿ عكومها ﴾ العكوم: (بضم المهملة) جمع عكم (بكسر المهملة وسكون الكاف) وهي: الأعدال والأحمال التي فيها الأوعية من صنوف الأطعمة والأمتعة. أو نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتها. (١)

﴿رداح ﴾ بكسرالراء وفتحها آخره مهملة، أي ملاء أو ثقيلة عظيمة الثقل. قال الهروي: أي عظام كثيرة الحشو، ومنه قيل للكتيبة إذا عظمت: رداح.(٢)

وقال ابن الأثير : وصف الأحمال بالثقل؛ لكثرة ما فيها من المتاع والثياب.(٣)

فإن قيل: رداح مفردة، فكيف وصف بها العكوم، وهي جمع، والجمع لا يجوز وصفه بالمفرد؟ جوابه ــ كما قال القاضي عياض ــ : أراد كل عكم منها رداح، أو يكون رداح مصدر كالذهاب.(٤)

﴿ وبيتها فساح ﴾ بفتح الفاء وتخفيف السين المهملة، أي: واسع فسيح، ولأبي عبيد: ﴿ فياح﴾

---

١) غريب الحديث ١/ ٣٧٤، والفائق للزمخشري ٣/٥٣ .

٢) غريب الحديث ١/ ٣٧٤

٣) النهاية ٢ / ٢١٣

٤) بغية الرائد ١٣٣ ــ ١٣٦ ، وشرح النووي ١٥ / ٢١٨

بوزنه ومعناه، فالأفيح هو: الواسع، من فاح يفيح إذا اتسع. قال القاضي عياض: يحتمل أنها أرادت كثرة الخير والنعمة. (١)

المعنى: وصفت أم زرع أم أبي زرع بسعة المال، وكثرة الخير والآلات، وسعة فناء البيت وكبره، وهذا لا يكون إلا مع الغنى.

﴿ ابن أبي زرع: فما ابن أبي زرع ؟! مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة ﴾

﴿ مضجعه كمسل شطبة ﴾ المسل: بفتح الميم، والسين المهملة، وتشديد اللام، مصدر بمعنى السل قام مقام اسم المفعول، أي: المسلول. والمعنى: مضجعه كمسلول الشطبة. والشطبة: بشين معجمة ثم طاء مهملة ساكنة ثم موحدة، وهي: إما السعفة، والمراد: الواحدة من سدى الحصير أو ما شطب من جريد النخل ــ وهي السعفة الخضراء ــ أي شق؛ لأن الجريدة تشقق منها قضبان رقاق. ومسل الشطبة: أي قدر ما يسل من قشرها. وإما السيف. وهذا التعبير كناية عن هيف القد، وأنه ليس ببطين ولا جاف.(٢)

﴿ ويشبعه ذراع الجفرة ﴾ الذراع: يذكر ويؤنث، والجفرة: بفتح الجيم، وسكون الفاء: الأنثى من أولاد المعز إذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه، وأخذ في الرعي. وهذا التعبير كناية عن أنه قليل الأكل، والعرب تمدح به. (٣)

وزاد ابن الأنباري:﴿ وترويه فيقة اليعرة ﴾ الفيقة(بكسر الفاء، وسكون التحتية وقاف): اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين في الضرع. وأصل الياء واو انقلبت؛ لكسرة ما قبلها، وتجمع على فيق(بكسر الفاء) ثم أفواق. قال ابن

١) بغية الرائد ص ١٣٦ ، وشرح النووي ١٥ / ٢١٨، والفائق ٣/٥٣ .

٢) شرح النووي ١٥ / ٢١٩، وبغية الرائد ص ١٣٧، وتفسير حديث أم زرع ص ٢٢٨ــ ٢٢٩، والنهاية ٢/٣٩٢

٣) غريب الحديث ١ / ٣٧٤ ــ ٣٧٥، و النهاية ١/ ٢٧٨ ــ ٢٧٧، والفائق ٣/٥٣ .

فارس: فواق الناقة: رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب.(١) واليعرة (بفتح التحتية، وسكون المهملة، وراء): العناق. واليعر: الجدي.(٢) أي: أنه قليل الأكل والشرب.

وزاد أيضا: ﴿ ويميس في حلق النثرة ﴾ يميس: بالسين المهملة.أي: يتبختر في مشيته، ويتثنى.(٣) والنثرة:(بنون وسكون المثناة) الدرع اللطيفة.(٤) أي: أنه ملازم لآلة الحرب.

المعنى: وصفت ابن أبي زرع أنه مهفهف(٥)، خفيف اللحم، ليس ببطين، وكنت عن ذلك بأن مضجعه الذي ينام فيه في الضيق كمسل شطبة واحدة إذا سلت من الحصير، فبقي مكانها فارغا بين أخواتها. أوأنه مثل غمد السيف في الخفة والسرعة، أو شبهته بالسيف؛ لخشونة جانبه ومضائه، أو لجمال رونقه، أو لكمال صورته. ثم وصفته بقلة الأكل والشرب، كما وصفته بأنه صاحب حرب وخيلاء في موضع القتال.

﴿ بنت أبي زرع : فما بنت أبي زرع ؟ ! طوع أبيها ، وطوع أمها، وملء كسائها ، وغيظ جارتها﴾

﴿ طوع أبيها، وطوع أمها﴾أي مطيعة لهما، منقادة لأمرهما، فهي بارة بهما. وفي رواية: ﴿ وزين أهلها ونسائها ﴾ أي يتجملون بها.(وملء كسائها ﴾ أي: ممتلئة الجسم سمينته أو عظيمة العجز والفخذين.أي هي ذات لحم تملأ كساءها.(٦)

١) النهاية ٣ / ٤٨٦، والمصباح المنير ص ٢٨٨

٢)النهاية ٥ / ٢٩٨

٣) النهاية ٤/ ٣٨٠

٤) النهاية ٥/ ١٥

٥) مهفهف: أي ضامر البطن. مختار الصحاح ص ٦٩٦ .

٦) شرح السنة ٥/ ٤٠٦

وزاد ابن السكيت: ﴿ وصفر ردائها ﴾ صفر (بكسر الصاد المهملة وسكون الفاء) أي: أنها ضامرة البطن، فكأن رداءها صفر: أي خال فارغ؛ لسمن أكتافها، وقيام نهودها، فلا يمس شيئا من ظهرها ولا من بطنها.(١)

• قال الهروي: أي ضامرة البطن، والرداء ينتهي إلى البطن.

• وقال غيره: معناه: أنها خفيفة أعلى البدن، وهو موضع الرداء، ممتلئة أسفله، وهو موضع الكساء، ويؤيد هذا المعنى: رواية ﴿ وملء أزارها ﴾. (٢)

• قال القاضي عياض: الأولى أن المراد: امتلاء منكبيها، وقيام نهديها بحيث يرفعان الرداء عن أعلى جسدها، فلا يمسه فيصير خاليا بخلاف أسفلها.(٣)

﴿ وغيظ جارتها ﴾ المراد بالجارة: الضرة؛ وسميت جارة؛ لمجاورتها ضرتها، كما سميت الزوجة جارة؛ لمجاورتها الزوج. ويحتمل: أن تكون الجارة بالسكنى. وسبب غيظها: ما ترى من حسنها وجمالها وعفتها وأدبها وعقلها.(٤)

وقد تعددت الروايات في قولها: ﴿ وغيظ جارتها ﴾:

• فلمسلم: ﴿ وعقر جارتها ﴾ بفتح العين وسكون القاف. ومعناه: تغيظها، فتصير كمعقور. وقيل: تدهشها، مأخوذ من قولهم: عقر إذا دهش.

• وللهيثم: ﴿ وعبر جارتها ﴾ بضم العين وإسكان الباء. من الاعتبار : أي ترى من حسنها وجمالها وعفتها وأدبها وعقلها ما تعتبر به. أومن العبرة: وهي البكاء؛ لغيظها وحسدها.

• وللنسائي: ﴿ وحير جارتها ﴾ بمهملة وتحتية من الحيرة.

• وله أيضا: ﴿ وحين جارتها ﴾ بالنون أي من الهلاك.

---

١) النهاية ٣ /٣٦

٢) شرح النووي ١٥ / ٢١٩

٣) بغية الرائد ص ١٤٤ بتصرف.

٤) شرح النووي١٥ / ٢١٩، و بغية الرائد ص١٣٩.

• وفي رواية:﴿ وغير جارتها ﴾ من الغيرة.

وهذه الألفاظ الواردة في الروايات كلها بمعنى متقارب من الرواية المشهورة، وهي: (وغيظ جارتها).(١)

وقد زاد ابن السكيت بعض الألفاظ الأخري ــ كما قال الإمام السيوطي في تفسير حديث أم زرع ــ أهمها:

(قباء) بفتح القاف، وتشديد الموحدة،أي: ضامرة البطن.

(هضيمة الحشا) أي: ضامرة البطن أيضا.

(جائلة الوشاح) أي : يدور وشاحها بضمور بطنها.

(فعماء) بعين مهملة أي: ممتلئة الجسم.

(نجلاء) بنون وجيم أي: واسعة العين.

(دعجاء)أي: شديدة سواد العين.

(رجاء) فيها ضبطان: الأول: براء وجيم مشددة أي: كبيرة الكفل ترتج من عظمه. والثاني: بالزاي أي: مقوسة الحاجبين.

(قنواء) محدوبة الأنف.

(مؤنقة) بنون وقاف مشددة.

(مفنقة) على وزن مؤنقة. أي: مغذاة بالعيش الناعم.

(برود الظل) أي: حسنة العشرة. وهذا مثل لطيب العشرة.

(وفي الال) أي: وفية بعهدها، والآل: العهد. فجعل الفعل للعهد، وهو لها في المعنى.

---

١) بغية الرائد ص ١٤٠ ــ ١٤١، و شرح النووي ١٥ / ٢١٩

(كريم الخل) الخل: بكسر المعجمة. أي: الصاحب. والمعنى: لا تخادن أخدان السوء.(١)

وإنما ساغ في وصف المؤنث: وفي، وكريم باعتبارأن المراد إنسان أو شخص وفي العهد، كريم الخل. أو من باب تشبيه فعيل الذي بمعنى فاعل بالذي هو بمعنى مفعول. وأما برود أو فعول فيستوي فيه المذكر والمؤنث.(٢)

المعنى:

وصفت أم زرع ابنة أبي زرع بأنها ممتلئة الجسم، كثيرة اللحم، وعبرت عن ذلك بامتلاء كسائها؛ لأنها لا تمتليء إلا لعظم جسمها، وكثرة لحمها، وكمال شخصها، وهذا مما تمتدح النساء به، ويذمن بضده.

﴿ جارية أبي زرع : فما جارية أبي زرع ؟! لا تبث حديثنا تبثيثا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا، ولا تملأ بيتنا تعشيشا ﴾.

﴿ لا تبث حديثنا تبثيثا ﴾ تبث:(بالباء الموحدة بين المثناة والمثلثة) أي: لا تشيعه، ولا تنشره، ولا تظهره بل تكتم سرنا وحديثنا، **وأصل البث**: النشر والإذاعة والإظهار كما تقدم، قال تعالى: ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾(٣) أي: الفراش المنتشر.

وفي غير **مسلم**: ﴿ ولا تنث حديثنا تنثيثا ﴾ بالنون. **قال ابن الأثير**: ويروى تنث بالنون بمعنى لا تبث.(٤) أي: لا تظهره.(٥) **وقال الزمخشري**: الروايتان بالباء والنون معناهما واحد؛ وهو النشر والإذاعة.(٦)

---

١) تفسير حديث أم زرع للسيوطي ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠

٢) الفائق للزمخشري ٣/ ٥٣ ــ ٥٤

٣) سورة القارعة من الآية (٤)، والنهاية ١ / ٩٥

٤) النهاية ١ / ٩٥

٥) شرح النووي ٢٢٠/١٥

٦) الفائق ٥٤/٣

﴿ ولا تنقث ميرتنا تنقيثا ﴾ تنقث: في ضبطه وجهان: الأول: بفتح التاء وإسكان النون وضم القاف. الثاني: بضم التاء وفتح النون وكسر القاف المشددة. وكلاهما صحيح. تنقيثا: مصدر على غير المصدر، وهو جائز، كقوله تعالى: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ﴾ (١)

والنقث: النقل بمعنى واحد، يقال: نقث الشيء ينقثه إذا نقله، والتنقيث مبالغة. نفت عنها السرقة والخيانة.(٢) **والميرة**: الطعام المجلوب، أو ما يجلبه البدوي من الحضر من دقيق ونحوه. أرادت أنها أمينة على حفظ طعامنا، لا تنقله وتخرجه وتفرقه، ولا تفسده، ومعناه: وصفها بالأمانة.(٣)

﴿ ولا تملأ بيتنا تعشيشا ﴾ وردت كلمة "تعشيشا" بضبطين:

الأول: بالعين المهملة، والتعشيش من عشش الطائر إذا اعتش، ويكون المعنى: لا تترك القمامة والكناسة في البيت كعش الطائر بل هي مصلحة للبيت، معتنية بنظافته، ليست ممن تضم كناسته، وتتركها مجتمعة في أماكن منه كأنها الأعشاش. أولا تخوننا في طعامنا في زوايا البيت كأعشاش الطير.

الثاني: بالغين المعجمة من الغش، ومأخذه من الغشش، وهو: المشرب الكدر. **قال الهروي**: هو بمعنى الأول. **وقال ابن السكيت**: هو من النميمة. **والمراد**: لا تتحدث بشر أوبخيانة أو بنميمة. وقيل: هو كناية عن عفة فرجها أي: أنها لا تملأ البيت وسخا وغشا بأطفالها من الزنا.(٤)

---

١) سورة آل عمران من الآية (٣٧)

٢) الفائق للزمخشري ٣/ ٥٤

٣) النهاية ٥ / ١٠٣ ، والمنهاج شرح صحيح مسلم ١٥ / ٢٢٠

٤) الفائق ٥٤/٣ ، شرح السنة للبغوي ٤٠٧/٥، وشرح النووي ٢٢٠/١٥

زاد الهيثم بن عدي: ﴿ ولا تنجث أخبارنا تنجيثا ﴾ النجث: بنون، وجيم معجمة، ومثلثة: الاستخراج، وكأنه بالحديث أخص.(١) ونجث ونبث ونقث أخوات في معنى النبش وإثارة التراب. والنجيثة والنبيثة والنقيثة: ما يخرج من البئر من تراب.(٢) والمعنى: لا تستخرج الأخبار استخراجا.

المعنى :

وصفت أم زرع جاريتها بالأمانة على السر والمال، والقيام بمصالح خدمتهم، والنصح لهم، وأنها لا تفشي لهم حديثا، ولا تبذر لهم طعاما، ولا تخون فيه، ولا تنقله إلى غيرهم، ولا تفسده، ولا تسيء صنعته، ولا تدخل بينهم الضغائن، ولا تهمل أمر خدمتهم وصلاح منزلهم.(٣)

وزاد الهيثم بن عدي في روايته: ﴿ ضيف أبي زرع ، فما ضيف أبي زرع ؟ في شبع وري ورتع ، طهاة أبي زرع ، فما طهاة أبي زرع ؟ لا تفتر ولا تعدي ، تقدح قدرا وتنصب أخرى ، فتلحق الآخرة بالأولى ، مال أبي زرع ، فما مال أبي زرع ؟ على الجمم معكوس ، وعلى العفاة محبوس ﴾

﴿ في شبع وري ورتع ﴾ أي: في مسرة ولهو. والمراد: في تنعم، قال تعالى: ﴿ نرتع ونلعب ﴾ (٤)﴿ طهاة أبي زرع ﴾ أي طباخوه. ﴿ لا تفتر ﴾ أي لا تسكن ولا تضعف في خدمتها، والفتور: السكون أو الضعف. ﴿ ولا تعدي ﴾ أي لا تصرف، يقال: عداه عن الشيء يعدوه إذا صرفه عنه. ﴿ تقدح قدرا ﴾ أي تغرف، والمقدحة: المغرفة. ﴿ وتنصب أخرى ﴾ أي: ترفع على النار، وكل شيء

١) النهاية ٥ / ١٧ ، وتفسير حديث أم زرع ص٢٣١

٢) الفائق ٣ / ٤٠٧

٣) بغية الرائد ص١٥١ ــ ١٥٢

٤) سورة يوسف من الآية (١٢)

رفعته فقد نصبته، والمنصب : شيء من حديد تنصب عليه القدور، وقد يكون النصب التعب.(١)

﴿ على الجمم معكوس ، وعلى العفاة محبوس ﴾ الجمم: بضم الجيم المعجمة جمع جمة بضمها أيضا: وهم القوم يسألون في الدية. يقال: أجم يجم إذا أعطى الجمة.(٢) معكوس: أي مردود. والعكس: هو ردك الشيء إلى أوله.(٣) ﴿ وعلى العفاة محبوس ﴾ العفاة: طلاب المعروف الواحد، يقال: اعتفاه إذا أتاه يطلب معروفه. والمراد بالعفاة هنا: السائلون. ومحبوس: موقوف عليهم.(٤)

المعنى :

وصفت أم زرع زوجها بالجود والكرم في توسعته على ضيوفه في الطعام والشراب، فلا ينقطع إطعامه، ولا تغب قدوره، ولا تستريح طهاته، فماله محبوس على السائلين، موقوف على طالبي الرفادة، وقاصدي العطاء، مردود عليهم.(٥)

زاد الحارث بن أبي أسامة والاسماعيلي: ﴿ قالت عائشة رضي الله عنها: حتى ذكرت كلب أبي زرع ﴾ (٦)

﴿ قالت : خرج أبو زرع ، والأوطاب تمخض ، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين ، فطلقني ونكحها ، فنكحت بعده رجلا سريا ، ركب شريا ، وأخذ خطيا ، وأراح علي نعما ثريا ، وأعطاني من كل رائحة زوجا،

١) بغية الرائد ص ١٥٢ ــ ١٥٣ ، وتفسير حديث أم زرع ص ٢٣١

٢) النهاية ١ / ٣٠١ ، ولسان العرب ١/ ٦٨٨

٣) مختار الصحاح ص ٤٤٩

٤)مختار الصحاح ص ٤٤٣ ، تفسير حديث أم زرع للسيوطي ص ٢٣١، وبغية الرائد ص ١٥٣

٥) بغية الرائد ص ١٥٣

٦) تفسير حديث أم زرع للسيوطي ص ٢٣١

وقال: كلي أم زرع ، وميري أهلك، قالت : فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع ﴾

﴿ والأوطاب تمخض ﴾ **الأوطاب:** جمع وطب { بفتح الواو وإسكان الطاء}: وهي أسقية اللبن التي يمخض فيها، وتسمية غير أوعية اللبن بها نوع من المجاز والمشابهة.(١) وقد جمعوه أيضا على: وطاب { فعال } في الكثرة، وعلى أوطب { أفعل } في القلة. وجمع الجمع: أواطب كأكالب وأكلب.

أما جمع فعل (بفتح الفاء وإسكان العين)على{ أفعال } فهو نادر قليل النظير لكنه منقول عن أفصح العرب، حكاه النبي صلى الله عليه وسلم، أو حكته السيدة عائشة رضي الله عنها بحضرته صلى الله عليه وسلم، ورواه فصحاء التابعين، ولا يحكون فيه لحنا.(٢)

﴿ فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين ﴾أي: معها ولدان لها كالفهدين، وفي رواية:"كالصقرين"، وفي رواية:" كالشابين" إشارة إلى صغر سنهما، وشدة خلقهما. (٣)

﴿ يلعبان من تحت خصرها برمانتين ﴾ اختلف في معناه تبعا للاختلاف الوارد في المراد بالرمانتين:

• **قال أبو عبيد والزمخشري:** معناه: أنها ذات كفل عظيم، فإذا استلقت على قفاها ارتفع كفلها بها عن الأرض حتى تصير تحتها فجوة تجري فيها الرمانة.(٤)

---

١) بغية الرائد ص ١٥٤، والمعجم الوسيط ١٠٤١، ولسان العرب ٦ / ٤٨٦٥

٢) بغية الرائد ص ١٥٤، والنهاية ٥ / ٢٠٣ ، ولسان العرب ٦ / ٤٨٦

٣) تفسير حديث أم زرع ص ٢٣٢

٤) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي ١/ ٣٧٥ ــ ٣٧٦، والفائق ٣/ ٥٤

• **وقال القاضي:** قال بعضهم: المراد بالرمانتين ثدياها. ومعناه: لها نهدان حسنان صغيران كالرمانتين. ورد هذا أبو عبيد.(١)

والثاني أرجح لا سيما وقد روي: ﴿ من تحت صدرها ﴾ و﴿ من تحت درعها ﴾ وذلك لأمرين: **الأول:** لم تجر العادة برمي الصبيان الرمان تحت ظهور أمهاتهم.

والثاني: لم تجر العادة باستلقاء النساء كذلك حتى يشاهده منهن الرجال.

﴿ فطلقني ونكحها ﴾ زاد الحارث بن أبي أسامة: ﴿ فأعجبته ﴾، وفي بعض طرقه: ﴿ أنه نكحها فلم تزل به حتى طلق أم زرع ﴾ (٢) .

﴿ فنكحت بعده رجلا سريا ، ركب شريا ﴾عند النسائي:﴿ فاستبدلت، وكل بدل أعور ﴾ الأعور: المعيب والرديء، والعرب تقول للرديء من كل شيء أعور، وللأنثى عوراء، ومنه قالوا: كلمة عوراء أي قبيحة.(٣)

قولها: ﴿ وكل بدل أعور ﴾ مثل معناه: أن البدل من الشيء غالبا لا يقوم مقام المبدل منه بل هو دونه.(٤)

﴿ رجلا سريا ، ركب شريا ﴾ **الأول:** بالسين المهملة على المشهور. ورجلا سريا: أي سيدا شريفا. ومن سراة الناس: أي من شرفائهم. **قال ابن الأثير:** سريا أي نفيسا شريفا. وقيل: سخيا ذا مروءة، والجمع: سراة بالفتح على غير قياس، وقد تضم السين. والاسم منه السرو.(٥)

---

١) بغية الرائد ص ١٥٨

٢) تفسير حديث أم زرع ص ٢٣٢

٣) النهاية ٣١٨/٣

٤) تفسير حديث أم زرع ص ٢٣٢

٥) النهاية ٣٦٣/٢ .

والثاني : بالشين المعجمة بلا خلاف، **ومعناه:** الفرس الذي يشري في عدوه وسيره، يعني: يلج ويتمادى ويجد. وقيل الشري: الفرس الفائق الخيار.(١)

﴿ وأخذ خطيا ﴾ بفتح المعجمة وكسر المهملة المشددة هو: الرمح ينسب إلى الخط، وهو موضع من سيف البحر(أي: ساحله) عند عمان والبحرين، تجلب منه الرماح. قيل له: الخط؛ لأنها على ساحل البحر، والساحل يقال له الخط؛ لأنه فاصل بين الماء والتراب. وسميت الرماح خطية: لأنها تحمل إلى هذا الموضع، وتثقف فيه.(٢)

وجاء في بعض الروايات: ﴿ وأخذ أعوجيا ﴾ وهي: كلمة منسوبة إلى فرس اسمه أعوج، وهو من الخيل العربية المشهورة التي تنسب العرب إليها جياد الخيل.(٣)

﴿ وأراح علي نعما ثريا ﴾ أراح: أفعل من الرواح، وهو:رجوع الإبل آخر النهار. ومعناه: أتى بها للمراح، وهو موضع مبيت الإبل.(٤) قال ابن الأثير: ومنه حديث أم زرع: " وأراح علي نعما ثريا" أي أعطاني؛ لأنها كانت هي مراحا لنعمه.(٥) والنعم: الإبل والبقر والغنم، والمراد بعضها وهي الإبل. **قال القاضي:** أكثر أهل اللغة على أن النعم مختصة بالإبل.(٦)

---

١) النهاية ٢ /٤٦٩، والفائق للزمخشري ٣/ ٥٤

٢) النهاية ٢/ ٤٨

٣) النهاية ٣/٣١٥

٤) بغية الرائد ص ١٦١

٥) النهاية ٢/ ٢٧٣

٦) بغية الرائد ص ١٦٢

ثريا: الثري: الكثير من المال وغيره، ومنه الثروة في المال: أي كثرته. والنعم: مؤنثة وجاء وصفها مذكرا " ثريا " ولم يقل " ثرية "؛ لأن كل ما ليس بحقيقي التأنيث يجوز إظهار علامة تأنيثه في الفعل، واسم الفاعل، والصفة ويجوز تركها.(١)

﴿ وأعطاني من كل رائحة زوجا ﴾ **الرائحة:** براء وتحتية ومهملة أي: مما يروح من النعم الآتية وقت الرواح. وعند مسلم: ﴿ ذابحة ﴾ فاعلة بمعنى مفعولة، أي: أعطاني من كل شيء يذبح من الإبل والبقر والغنم وغيرها. ﴿ زوجا ﴾ أي اثنين، ويحتمل أنها أرادت صنفا، والزوج يقع على الصنف، ومنه قوله تعالى : ﴿وكنتم أزواجا ثلاثة ﴾ (٢)أي: أصنافا.

المعنى:

وصفت أم زرع الرجل الذي تزوجته بعد أبي زرع بالثراء والسؤدد وسعة اليد، وأنه صاحب حروب وفروسية وصيد، كما وصفته بأنه أحسن إليها، وتفضل على أهلها، وأكثر من العطاء لهم من الإبل والبقر والغنم ونحو ذلك. غير أنها أخبرت أنه مع هذا كله لم يقع عندها موقع أبي زرع، وأن كثيره دون قليل أبي زرع، فكيف بكثيره؟!

وأخبرت أن حال الرجل الذي تزوجته بعد أبي زرع عندها معيب إذا قارنته بحال أبي زرع، مع إساءة أبي زرع لها بتطليقها أخيرا لكن حبها له بغض إليها الناس بعده. ولذا كره أصحاب الرأي تزوج امرأة لها زوج طلقها؛ لميل نفسها إليه.(٣)

﴿ وقال: كلي أم زرع، وميري أهلك، قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبي زرع ﴾ ميري: بكسر الميم من الميرة: أي أعطيهم وتفضلي عليهم

---

١) المصدر السابق.

٢) سورة الواقعة الآية (٧)، وينظر شرح النووي ١٥ / ٢٢١

٣) بغية الرائد ص١٦٤

وصليهم. يقال: مارهم يميرهم إذا أعطاهم الميرة. والميرة: هي الطعام ونحوه، وكل ما يجلب للبيع.(١)

﴿ قالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كنت لك كأبي زرع لأم زرع "﴾ زاد الهيثم : ﴿ في الألفة والرفاء لا في الفرقة والخلاء ﴾ وزاد الزبير:﴿ إلا أنه طلقها وإني لا أطلقك ﴾ فقالت عائشة رضي الله عنها: ﴿ بأبي أنت وأمي، لأنت خير لي من أبي زرع لأم زرع ﴾.

وهذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم ما هو إلا تطييب لنفسها، وإيضاح لحسن عشرته لها.(٢) ومعناه: أنا لك كأبي زرع، فتكون (كان) زائدة أو للدوام، كقوله تعالى: ﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾(٣) أي كان فيما مضى، وهو باق كذلك.

ووقع عند أبي يعلى عن سويد بن سعيد عن سفيان بن عيينة من حديث عائشة رضي الله عنها أنها حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي زرع وأم زرع وذكرت فيه شعر أبي زرع في أم زرع كذا فيه، ولم يسق لفظه.(٤)

قال ابن حجر:" لم أقف في شيء من طرقه على هذا الشعر، وأخرجه أبو عوانة من طريق عبد الله بن عمران، والطبراني من طريق ابن عمر كلاهما عن ابن عيينة بإسناده، ولم يسق لفظه أيضا. (٥)

---

١) النهاية ٤/ ٣٧٩

٢) بغية الرائد ص ١٦٧

٣) سورة الأحزاب من الآية (٥٩)

٤) مسند أبي يعلى ٨ / ١٥٩

٥) فتح الباري ٩ / ١٨٥.

المبحث الخامس

أهم الصور البلاغية

بعد إلقاء الضوء على أهم الجوانب اللغوية لحديث أم زرع تبين أنه يشتمل على أبرز فنون البلاغة، وأعظم ضروب الفصاحة، فهو مع كثرة فصوله، وقلة فضوله وجدناه مختار الكلمات، واضح السمات، نير القسمات، قدرت ألفاظه قدر معانيه، فجمع مع جزالة ألفاظه حلاوة بيانه، وجمال معانيه، وروعة بديعه. فاحتل في البلاغة مركزا، وفي البديع موضعا. وفيما يلي نجلي ونبرز ــ فوق ما تقدم ــ أهم مظاهر تلك البلاغة، وأشهر صور تلك الفصاحة:

الصورة الأولى: التشبيه

التشبيه في اللغة: التمثيل، يقال: هذا شبه هذا ومثيله.

وفي اصطلاح علماء البيان: هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه كالشجاعة في الأسد، والنور في الشمس.

ومن ثم فأركان التشبيه أربعة :

١ ــ **المشبه:** هو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره.

٢ ــ **المشبه به:** هو الأمر الذي يلحق به المشبه.

وهذان الركنان يسميان طرفي التشبيه.

٣ ــ **وجه الشبه:** هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه. وقد يذكر، وقد يحذف.

٤ ــ **أداة التشبيه:** هي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به. وقد يذكر وقد يحذف. والتشبيه: إما تشبيه مفرد، وإما تشبيه مركب.(١)

---

١) جواهر البلاغة ص ٢١٤ ــ ٢١٥، والتعريفات للجرجاني ص ٥٠

أهم مواضع التشبيه في القصة :

الموضع الأول:

﴿**قالت الأولى:** زوجي لحم جمل غث على رأس جبل، لا سهل فيرتقي، ولا سمين فينتقل﴾

التوضيح:

شبهت هذه المرأة بخل زوجها، وأنه لا ينال ما عنده مع شراسة خلقه، وكبر نفسه بلحم الجمل الغث، على رأس الجبل الوعث أو الوعر:

- فشبهت وعورة خلقه بوعورة الجبل.
- وشبهت بعد خيره ببعد اللحم على رأس الجبل.
- وشبهت الزهد فيما يرجى منه؛ لقلته وتعذره بالزهد في لحم الجمل الغث.

فأعطت التشبيه حقه، وهذا من باب تشبيه الخفي بالجلي، والمتوهم بالمحسوس، والحقير بالخطير.

الموضع الثاني:

﴿**قالت الثالثة:** زوجي العشنق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق ﴾ وفي رواية: ﴿ وأنا منه على حد السنان المذلق﴾.

التوضيح:

شبهت هذه المرأة حالها مع زوجها من الخوف وعدم الاستقرار كمن هو على مثل حد السنان أو السيف المحدد إن تسكت تعلق، وإن تنطق تطلق.

الموضع الثالث:

﴿**قالت الرابعة:** زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة﴾.

التوضيح:

شبهت هذه المرأة زوجها بليل تهامة، وغيث غمامة بجامع الاعتدال في كل، وهذا كله من باب تشبيه الخفي بالجلي، والمتوهم بالمحسوس، ومن باب المبالغة والغلو. وفي بعض الروايات:﴿ والغيث غيث غمامة ﴾ هذا تشبيه بليغ حذفت منه الأداة ووجه الشبه.

الموضع الرابع:

﴿ **قالت الثامنة :** زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب ﴾

التوضيح:

قولها:(المس مس أرنب، والريح ريح زرنب) هذا تشبيه بليغ حذفت منه الأداة ووجه الشبه. فوصفت هذه الزوجة زوجها بحسن الخلق والعشرة مع أهله، ولين الجانب معهن كمس الأرنب إذا وضعت يدك على ظهره؛ فوبره ناعم جدا.

الصورة الثانية: الاستعارة

وهي: ادعاء معنى الحقيقة في الشيء؛ للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين.(١) أوهي: استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي.(٢)

والاستعارة باتفاق أهل البلاغة أرفع درجات البيان، وأعلى محاسن الشعر، وآنق منظر الكلام، وأعجب تصرفات البليغ، ولها موقع في الإبانة لايقعه سواها، ومترع في الإيجاز والاختصار لا يوجد في غير بابها".(٣)

---

١) التعريفات ص ١٥

٢) جواهر البلاغة ص٢٦٤

٣) بغية الرائد ص٢٠٢٧٦

ومن ذلك في قصة أم زرع:

• **قولها:** ﴿ وإن أسكت أعلق ﴾ شبهت المرأة غير المطلقة وغير ذات البعل بالشيء المعلق الذي لا يستقر ولا يثبت في أية جهة علوية أو سفلية.

• **وقولها:** ﴿ أيقن أنهن هوالك ﴾ مبالغة في كثرة نحره، فقد شبهت الإبل بالإنسان، واستعارت لهن اليقين الذي هو صفة من صفات الإنسان.

• **وقولها:** ﴿ إن دخل فهد ، وإن خرج أسد ﴾ شبهت زوجها بالفهد في الدخول، وبالأسد في الخروج، فإذا دخل تغافل ونام، وإذا خرج صال وجال، وكان شجاعا. فاستعارت له خلق هذين السبعين في دخوله وخروجه.

الصورة الثالثة: الكناية

الكناية لغة: ما يتكلم به الإنسان ويريد غيره.

واصطلاحا: لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي؛ لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته.(١)

ومن ذلك في قصة أم زرع :

• ﴿ لا حر ولا قر ﴾ كناية عن اعتداله، فليس فيه أذى، وكنت بالحر عن كثرته، وبالقر عن قلته.

• ﴿ رفيع العماد ﴾ أي: عالي البيت، كناية عن الشرف والرفعة؛ فإن الأشراف كانوا يعلون بيوتهم، ويضربونها في المواضع المرتفعة؛ ليقصدهم الطارقون والوافدون.

• ﴿ طويل النجاد ﴾ النجاد: بكسر النون وتخفيف الجيم حمائل السيف، والمراد: طول قامته؛ فإنها إذا طالت طال نجاده، وكانت العرب تمدح بذلك وتذم بالقصر، وهو من أحسن الكنايات.(٢)

---

١) جواهر البلاغة ص (٢٩٥ ــ٢٩٧)

٢) النهاية ٥ / ١٩ ، تفسير حديث أم زرع للسيوطي ص ٢٢٦.

• ﴿ عظيم الرماد ﴾ كناية عن كونه مضيافا أي: كثير الأضياف والإطعام؛ لأن الرماد يكثر بالطبخ. **قال الزمخشري:** " كنت عن ارتفاع بيته في الحسب برفعة عماده، وعن طول قامته بطول نجاده، وعن إكثاره القرى بعظم رماده. "(١)

• ﴿ كثيرة المسالك، قليلة المبارك ﴾ وهذا التعبير كناية عن قلة بقائها في ملكه، وبروكها بفنائه؛ لكثرة خروجها عن يده.

• ﴿ مضجعه كمسل شطبة ﴾ وهذا التعبير كناية عن هيف القد، وأنه ليس ببطين ولا جاف.

• ﴿ ويشبعه ذراع الجفرة ﴾ وهذا التعبير كناية عن أنه قليل الأكل، والعرب تمدح به.

• ﴿ ولا تملأ بيتنا تعشيشا ﴾ وقيل: هو كناية عن عفة فرجها. أي: أنها لا تملأ البيت وسخا وغشا بأطفالها من الزنا.

• ﴿ عكومها رداح ﴾ كنى بها عن كفلها وعظمه، والكفل: العجز. وكنى بسعة البيت وفسحة الفناء عن كثرة خيره ورغد عيشه.

الصورة الرابعة: الترصيع

وهو: توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز.(٢) أو هو: أن تكون الألفاظ متفقةالأعجاز، مستوية في أوزانها.(٣)

وقد يسمى بالموازنة وبالمناسبة وبالتسميط وبالتضفير وبالتسجيع، والترصيع هو رأس الفصاحة وزمام البلاغة، ومن هذا الباب في القرآن الكريم كثير في مناسبة الألفاظ ومقابلة الكلمات، كقوله تعالى: ﴿ فأثرن به نقعا، فوسطن به

---

١) الفائق في غريب الحديث ٣/ ٥١ ــ ٥٢

٢) جواهر البلاغة ص ٣٥٢ طبعة دار الفكر بيروت.

٣) التعريفات ص ٤٨

جمعا﴾، وكقولـه تعالـى في نفس السورة:﴿ أفلا يعلم إذا بعثر مافي القبور، وحصل ما في الصدور ﴾(١)

من أهم مواضع الترصيع في القصة:

الموضع الأول:

﴿**قالت الأولى**: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل، لا سهل فيرتقي، ولا سمين فينتقل﴾

فقد وازنت هذه الزوجة ألفاظها، وماثلت كلماتها، وقدرت فقراتها، وحسنت إسجاعها: فوازنت " لحم " في الفقرة الأولى بـ " رأس " في الفقرة الثانية، وجمل بجبل، وغث بوعر في الرواية الواحدة. فأفرغت كل فقرة في قالب أختها، ونسجتها على منوالها.

الموضع الثاني : ﴿ **قول الرابعة** :" لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة ﴾

الموضع الثالث :﴿ **قول الخامسة** : إن خرج أسد، وإن دخل فهد.﴾

الموضع الرابع:﴿ **قول السادسة** : إن أكل اقتف، وإن شرب اشتف، وإن هجع التف﴾

الموضع الخامس:﴿ **قول الثامنة:** المس مس أرنب، والريح ريح زرنب. وقولها: " شجك، أو فلك، أو بجك، أو جمع كلا لك ﴾

الموضع السادس: ﴿ **قول التاسعة :** رفيع العماد، طويل النجاد، كثير الرماد ﴾

الموضع السابع:﴿ **قول العاشرة:** قليلات المسارح، كثيرات المبارك﴾

الموضع الثامن: قول أم زرع: ﴿ أناس من حلي أذني، وملأ من شحم عضدي ﴾ وقولها:

---

١) سورة العاديات الآيتان(٩ و ١٠)

﴿ صفر ردائها ، وملء كسائها ﴾ وقولها: ﴿ أرقد فأتصبح، وأشرب فأتقمح، وآكل فأتمشح﴾

وقولها:﴿ لا تبث حديثنا تبثيثا ، ولا تنفث ميرتنا تنفيثا ، ولا تغث طعامنا تغثيثا ﴾

الموضع التاسع:

قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه لعائشة رضي الله عنها: ﴿ في الألفة والرفاء، لا في الفرقة والخلاء﴾

فهذا كله من حسن النظم، ومناسبة اللفظ ، فكل لفظة منها على وزن صاحبتها؛ ولذا سمي الترصيع بالمناسبة والموازنة.

الصورة الخامسة : الجناس أوالمجانسة

المجانسة لغة : الاتحاد في الجنس.(١)

واصطلاحا: اختلاف اللفظين في حرفين لم يتباعدا مخرجا.(٢)

وقد اختلف أرباب البلاغة والنقد في هذا النوع إذا لم يكن مشتقا من أصل واحد: فسماه بعضهم: " مجانسة " تغليبا للأكثر، وسماه بعضهم مضارعة. وأما التجنيس الحقيقي فهو: أن يكون في الكلام لفظتان إحداهما مشتقة من الأخرى، كقوله تعالى : ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾ . (٣)

ومن ذلك في قصة أم زرع: مجانسة جمل وجبل، وهو وإن لم يجانسه في كل حروفه فقد جانسه في أكثرها.

---

١) التعريفات ص ١٨٠

٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ص٣٤٧

٣) سورة التوبة من الآية (١٢٧) ، وينظر: بغية الرائد ص ١٩٢

الصورة السادسة: الطباق و المقابلة

أما الطباق فهو: الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى سواء أكانا اسمين أم فعلين أم حرفين.(١)

وأما المقابلة فهي: أن يجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما.(٢) أو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب.(٣)

ومن ذلك في قصة أم زرع:

- ومنه: قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في هذه القصة: ﴿ في الألفة والرفاء، لا في الفرقة والخلاء﴾ فطابق الألفة بالفرقة التي هي ضدها، والرفاء بالخلاء. وهذا ما يسمى بالمقابلة.
- مقابلة الوعر بالسهل، والغث بالسمين.
- ومثله قول الثالثة: ﴿ إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق﴾ فطابقت أنطق بأسكت الذي هو ضده.
- ومثله قول الرابعة: ﴿ لا حر ولا قر﴾ فطابقت بين الحر والقر وهو البرد.
- ومثله قول الخامسة: ﴿ إن دخل فهد، وإن خرج أسد﴾ فبين دخل وخرج طباق في اللفظ، وبين فهد وأسد طباق في المعنى. وهذا يسمى مقابلة.
- ومثله قول السادسة: ﴿ إن أكل ﴾ و﴿ إن شرب ﴾
- ومثله قول العاشرة: ﴿ كثيرات المبارك، قليلات المسارح ﴾
- ومنه قول أم زرع: ﴿ أشرب فأتقمح، وآكل فأتمنح ﴾
- ومثله قول أم زرع: ﴿ صفر ردائها، وملء كسائها ﴾ فصفر ضد ملء.

وهذا اللون من البديع مما يحسن الكلام بمقابلته، ويروق بمناسبته.

---

١) جواهر البلاغة ص ٣١٣ ــ ٣١٤

٢) التعريفات ص(١٩٤)

٣) جواهر البلاغة ص ٣١٤ ــ ٣١٥

الصورة السابعة: التزام مالا يلزم

وهو: أن يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه من الفاصلة بما ليس بلازم في مذهب السجع.(١) وبعض علماء البلاغة يجعله أحد أنواع الترصيع.(٢)

وحقيقته: أن يلتزم المتكلم قبل حرف القافية حرفا أو حرفين أو أكثر.

ومن ذلك في قصة أم زرع :

- قول الأولى: " فيرتقي، وينتقي" .
- قول الثالثة: " أطلق ، وأعلق".
- وقول السادسة: " اقتف، والتف، واشتف".
- وقول السابعة : " شجك، أو فلك، أو بجك، أو جمع كلا لك".
- وقول الثامنة: " أرنب، وزرنب".
- وقول التاسعة: " مالك، وذلك، ثم مهالك، وهوالك".
- ومنه قول أم زرع: " أشرب فأتقمح، وآكل فأتمنح ".
- وقولها في وصف ابنه: " الجفرة، واليعرة، والنشرة".
- وقولها في وصف الخادم: " ولا تغش طعامنا تغشيشا، ولا تملأ بيتنا تعشيشا".
- وقولها " رجلا سريا، ركب شريا ".

الصورة الثامنة: الإيغال.

حقيقته: ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها؛ لزيادة المبالغة.

مثاله: قول الخنساء في مرثية أخيها صخر:

---

١) جواهر البلاغة ص ٣٥٣، ولباب البديع د/ محمد حسن شرشر ص ٢٠٨ طبعة دار الطباعة المحمدية .

٢) بغية الرائد ص ١٩٨

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم على رأسه نار

فقولها: كأنه علم واف بالمقصود، وهو اقتداء الهداة به لكنها أتت بقولها في رأسه نار إيغالا وزيادة في المبالغة.(١)

ومن ذلك في قصة أم زرع:

﴿قالت الأولى : زوجي لحم جمل غث على رأس جبل، لا سهل فيرتقي، ولا سمين فينتقل﴾

التوضيح :

لو اقتصرت على قولها: زوجي لحم جمل غث على رأس جبل. لاكتفت ببعد منالِه، ومشقة الوصول إليه، والزهد فيه، وهذا غرضها لكنها زادت وبالغت في القول، وتناهت في غاية الوصف. وهذا هو ما يسمى بالإيغال.

الصورة التاسعة: الاحتراس أو التتميم .

والاحتراس: هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. أي يؤتى بشيء يدفع ذلك الإيهام.(٢) نحو قوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ (٣)

فإنه تعالى لو اقتصر على وصفهم بأذلة على المؤمنين لتوهم أن ذلك؛ لضعفهم، وهذا خلاف المقصود، فأتى على سبيل التكميل بقوله ﴿ أعزة على الكافرين ﴾.(٤) وعند النسائي زيادة : ﴿ وأنا أغلبه والناس يغلب ﴾ وصفته في

---

١) التعريفات ص ٣٥

٢) التعريفات ص ٨

٣) سورة المائدة من الآية (٥٤)

٤) التعريفات للجرجاني ص (٨)

هذه الزيادة مع ما تقدم من لين جانبه، وجميل عشرته لها، وصبره عليها، بالشجاعة والحزم مع الناس. فهو احتراس أو تتميم في غاية الحسن.(١)

الصورة العاشرة: حسن التفسير، وغرابة التقسيم، وحمل اللفظ على اللفظ، والمعنى على المعنى في المقابلة والترتيب:

ومن ذلك: قول الزوجة الأولى:﴿ لا سهل فيرتقي، ولا سمين فينتقى ﴾ فإنها فسرت ما ذكرت، وبينت حقيقة ما شبهت، وقسمت كل قسم على حياله، وفصلت كل فصل من مثاله، وجاءت للفقرتين الأوليين بفقرتين مفسرتين، وقابلت﴿ لا سهل فيرتقي ﴾ بقولها:﴿ ولا سمين فينتقى ﴾ وفي رواية النسائي بتقديم: ﴿ و لا سمين فينتقى ﴾ فيكون أول تفسير لأول مفسر، وهو قولها:﴿ كلحم جمل ﴾ والثاني للثاني، فحملت اللفظ على اللفظ، وردت المقدم إلى المقدم، والمؤخر إلى المؤخر، فتقابلت معاني كلماتها، وترتبت ألفاظها.(٢)

ومن ذلك أيضا: قول الزوجة الرابعة:﴿ زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة ﴾ فإنها أجادت التفسير، وأحسنت التعبير.

ومن ذلك أيضا:قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في هذه القصة:﴿ في الألفة والرفاء لا في الفرقة والخلاء﴾

الصورة الحادية عشرة: الإرادف والتتبيع.

هو: المدح بشيء على وجه يستتبع المدح بشيء آخر. (٣) أو هو: الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر مدحا أو ذما.(٤)

---

١) تفسير حديث أم زرع للسيوطي مع كتاب بغية الرائد للقاضي عياض ص ٢٢٥

٢) بغية الرائد ص ١٩٧

٣) التعريفات ص ١٦

٤) جواهر البلاغة ص ٣٣٣

ومن ذلك في قصة أم زرع:

• قولها: ﴿ طويل النجاد ﴾ ؛ فإن طول النجاد من توابع الطول ولوازمه، فلن يطول نجاد أحد إلا إذا كان طويلا.

• قولها : ﴿ عظيم الرماد ﴾ من توابع الكرم وروادفه؛ لأنه لا يكثر رماده إلا لكثرة إيقاده النيران للضيفان.

• قولها : ﴿ قريب البيت من الناد ﴾ لأن العادة أنه لا يترل قرب النادي إلا المنتصب للضيفان، فكان ردفا لجوده وكرمه.

• وقولها: ﴿ أناس من حلي أذني ﴾ عبرت عن كثرة ما حلاها به أحد توابعه، وهو صوت حركته، ولا يكون ذلك إلا مع كثرته.

الصورة الثانية عشرة : حسن التسجيع

والسجع: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر.(١)

ومن ذلك في قصة أم زرع :

• **قالت التاسعة :** ﴿ زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد ﴾

• ﴿ زوجي أبو زرع، فما أبو زرع؟! أناس من حلي أذني، وملأ من شحم عضدي، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح ﴾

قال القاضي عياض:" بل كلهن حسان الأسجاع، متفقات الطباع، غريبات الإبداع، غير مستكرهات الألفاظ، ولا ملفقات القوافي، ولا قلقات الفواصل،لاسيما هذه التاسعة، فلاشيء أسلس من كلامها، ولا أربط من نظامها، ولا أطبع من سجعها...." (٢)

---

١) جواهر البلاغة ص ٣٥١ ، والتعريفات ص ١٠٣

٢) بغية الرائد ص ٢١٠

المبحث السادس

أهم الفوائد الفقهية

بعد أن ألقينا الضوء على أهم مظاهرالبلاغة في حديث أم زرع تبين أنه — بلا ريب — قد اشتمل على أهم فنون البلاغة، فجمع مع جزالة الألفاظ حلاوة البيان، وجمال المعاني، وروعة البديع.

وإذا كانت تلك رتبته في جانب اللغة والبلاغة فإن مترلته في جانب الفقه لا تقل عنها، وفيما يلي أهم الفوائد الفقهية المستنبطة من هذا الحديث:

الفائدة الأولى:

حسن عشرة الزوج لزوجته سواء أكان بالتأنيس أم بالمحادثة بما لا إثم فيه بقصد إشاعة البهجة والسرور:

وقد ترجم الإمام البخاري لهذا الحديث بباب حسن المعاشرة مع الأهل كما سبق في التخريج(١)، ويظهر ذلك هنا في حديثه صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها ومن كان معها من أزواجه رضوان الله عليهن بقصة هؤلاء النسوة.

الفائدة الثانية:

منع الفخر بحطام الدنيا وكراهته ، وجواز ذكر الفضل بأمور الدين :

وتؤخذ هذه الفائدة من: سبب ورود هذا الحديث حيث فخرت عائشة رضي الله عنها بمال أبيها في الجاهلية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :﴿ اسكتي يا عائشة ؛ فإني كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾(٢) فمحبته صلى الله عليه وسلم إياها،

---

١) ينظر التخريج من ص(٢٩ — ٣١) .

٢) ينظر سبب الورود ص(٣٦).

وحسن عِشرته لها، ومنزلتها منه أعرق في الفخر، وأرفع في الذكر من كثرة مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

الفائـــدة الثالثـــة :

جواز تذكير الرجل زوجته بصورة حاله معها من الإحسان، وحسن الصحبة؛ تطييبا لنفسها، واستجلابا لمودتها :

وذلك لاحتمال أن تكـــون غافلة عما فيه من نعيـــم، ولفت النظـــر بالتذكير يـــؤدي إلى الاحترام والتقدير للزوج، والشكر للمنعم سبحانه أولا.

أو لأنه إذا جـــاز له أن يكذب عليها من باب الصلح، وأبيح له أن يمنيها بالمواعيـــد غير الصادقة فهذا أجـــوز، وإذا جاز من النساء كفران العشـــير جـــاز تذكيرهن بالإحسان لهن، وحسن ذلك فيهن.

قال المهلب: وفيه (أي الحديث): جواز تذكير الرجل امرأته بإحســـانه إليها؛ لأنه لما جاز من النساء كفران العشير جاز تذكيرهن بالإحسان.(١)

الفائـــدة الرابعة:

إكرام الرجل بعض نسائه بحضرة ضرائرها بما يراه من قول أو فعل، وتخصيصها بذلك.

وتؤخذ هذه الفائدة من تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم السيدة عائشـــة رضي الله عنها بهذا الحديث كما قالت في بعض الروايـــات: ﴿ ليخصني بذلك ﴾. وهذا التخصيص جائز؛ لأن القصد منه ليس الأثرة والميل والتفضيل بـــل لســـبب اقتضاه من تأنيس وحشة بدت منها، أو مكافأة على جميل.

---

١) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ٧ / ٢٤٥ طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

قال ابن حجر:" ومحله: عند السلامة من الميل المفضي إلى الجور، ويجـــوز تخصيص بعض الزوجات بالتحف واللطف إذا استوفى للأخرى حقها." (١)

وإن لم يكن العدل في القسم بين الزوجات واجبـــا عليه صـــلى الله عليـــه وسلم ـــ كما ذهب إلى ذلك طائفة من فقهـــاء الشافعية وغيرهم ـــ؛ لقوله تعالى: ﴿ ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ﴾ (٢) فقد ألزم النبي ﷺ نفســـه بـــه تفضلا منه، وتخلقا بالعدل، ولتقتدي به أمته.

الفائـــدة الخامسة :

جواز تحدث الرجل مع إحدى زوجاته ، ومجالستها في يوم الأخرى .

وتؤخذ هذه الفائدة من قول السيدة عائشة رضي الله عنها: ﴿ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجتمع عنده نساؤه ﴾، وفي الرواية الأخرى:﴿ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندي بعض نسائه ﴾ فيظهر من ذلك أنه ﷺ كان في بيتها.

وكانت عادة النبي صلى الله عليه وسلم الاجتماع بنسائه عند الـــتي هـــو يومها، روى البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالـــت: ﴿ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من العصر دخل على نسائه، فيدنو من إحداهن ﴾"(٣)

---

١) فتح الباري ١٨٦/٩.

٢) سورة الأحزاب من الآية (٥١) قال ابن كثير: وقال آخرون: المـــراد بقولـــه تعـــالى: ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾ أي: من أزواجك، فلا حرج عليك أن تترك القسم لهن، فتقدم من شئت، وتؤخر من شئت، وتجامع من شئت، وتترك من شئت. هكـــذا يروى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغيرهم. وينظر: تفسير ابن كثير ٣ / ٥٠١.

٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب دخول الرجل على نسائه في اليوم ٩ / ٢٢٧ طبعة دار الريان.

وأخرج أبو داود وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو يومها فيبيت عندها ﴾(١)

وقد اختلف العلماء في جواز دخول الرجل على إحدى زوجاته ومجالستها في يوم الأخرى على مذهبين:

الأول: يجوز لعذر لابد منه، أو لحاجة من عيادة ونحوها، بشرط: أن لا يكون القصد هو الأثرة والميل والتفضيل، **وقالوا:** ليس حقيقة القسم إلا بالليل خاصة.

الثاني: لا يجوز، ولا يشرب الماء عند إحداهما أو إحداهن في يوم الأخرى بل يقف على الباب، ويسلم، ولا يدخل. وتأول أصحاب هذا الرأي ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث المذكورة بأن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم؛ لأن القسم ليس بواجب عليه، أو أنه كان يفعل ذلك نادرا، وغالب أمره العدل بينهن؛ ليسن العدل وحسن العشرة.(٢)

والمذهب الأول أرجح؛ لقوة الأدلة، ولأن دعوى الخصوصية تفتقر إلى دليل.

---

١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب النكاح باب القسم بين النساء ١ / ٥٣٤ ــ ٥٣٥ طبعة مصطفى الحلبي .

٢) بغية الرائد ص ٣٥ ــ ٣٦، وتراجع تلك المسألة في كتاب: المغني لابن قدامة ٨/ ١٤٦ ــ ١٤٧ طبعة دار الفكر بيروت.

الفائدة السادسة:

جواز الحديث عن الأمم السابقة ،وضرب الأمثال بها أخذا للعبرة. وجواز دراسة التاريخ ؛ فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

وتؤخذ هذه الفائدة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن تلك النسوة؛ لأن في الحديث عن سيرهم عبرة للمعتبر، واستبصارا للمستبصر، واستخراجا للفائدة. **قال المهلب:** فيه جواز نقل الأخبار عن حسن المعاشرة، وضرب الأمثال بها. (١)

ومن أعظم العبر والفوائد المستخرجة من الحديث عنهن: الوفاء للزوج، وقصر الطرف والقلب عليه، والشكر لجميل فعله، وحسن معاشرته، كحال أم زرع مع أبي زرع، وكثنائها عليه، وعلى جميع أهله، وشكر إحسانه لها، واستصغارها كل شيء بعده.

ومن الفوائد أيضا: التعريف بصبر الأخر اللواتي ذممن أزواجهن، والإعلام بما تحملنه من سوء عشرتهم، وشراسة أخلاقهم؛ ليقتدي بذلك من النساء من بلغها خبرهن في الصبر.(٢)

الفائدة السابعة:

جواز التحدث بملح الأخبار، وأحسن القصص؛ تسلية للنفس، وجلاء للقلب.

وقد استنبط الإمام الترمذي تلك الفائدة في ترجمته على هذا الحديث في كتابه: "الشمائل" بقوله: باب ما جاء في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السمر. وساق معه حديث خرافة، وفيه: ﴿ فقال: أتدرون ما خرافة؟ إن خرافة كان

---

١) شرح ابن بطال ٧ / ٢٤٥ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

٢) بغية الرائد ص (٣٦ ــ ٣٧) بتصرف.

رجلا من عذرة (١) أسرته الجن، فمكث فيهم دهرا، ثم ردوه إلى الإنس، وكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب. فقال الناس: حديث خرافة. (٢)

قال ابن حجر: فيه (أي في حديث أم زرع): المزاح أحيانا، وبسط النفس به، ومداعبة الرجل أهله، وإعلامه بمحبته لها ما لم يؤد ذلك إلى مفسدة تترتب على ذلك من تجنيها عليه، وإعراضها عنه. (٣)

وإظهار حب الزوج لأهله أمر حسن: فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحب إليك؟ فقال:"عائشة. قيل: من الرجال ؟ قال:"أبوها". قيل: ثم من ؟ قال:"عمر" فعد رجالا. (٤) وفي الحديث: ﴿ إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه ﴾ (٥)

---

١) خرافة: اسم رجل من بني عذرة استهوته الجن، فكان يحدث بما رأى، فكذبوه، وقالوا: حديث خرافة، وأجروه على كل ما يكذبونه من الأحاديث، وعلى كل ما يستملح، ويتعجب منه. ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ خرافة حق ﴾ ينظر: النهاية ٢ / ٢٥

٢) أخرجه الترمذي في كتابه الشمائل باب ما جاء في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السمر ص ١٧٣ وفي إسناده: مجالد بن سعيد، قال فيه ابن حجر: ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره. ينظر: تقريب التهذيب ٢ / ٢٢٩. ورواه أحمد في مسنده ٦ / ١٥٧، وأبو يعلى في مسنده برقم ٤٤٤٢ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤ /٥٧٧ ــ ٥٧٨ وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، وروى الطبراني في الأوسط من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا: ﴿ إن أصدق الحديث حديث خرافة .... فذكره ﴾ ورجال أحمد ثقات، وفي بعضهم كلام لا يقدح، وفي إسناد الطبراني علي بن سارة، وهو ضعيف.

٣) فتح الباري ٩ / ١٨٥

٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٤ / ١٨٥٦ طبعة عيسى الحلبي .

٥) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب إخبار الرجل الرجل بمحبته إياه ٢ / ٦٧٩ من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند أبي كريمة المقدام بن معدي كرب الكندي رضي الله عنه ٤ / ١٣٠.

الفائدة الثامنة :

بسط المحدث والعالم والمعلم ما أجمل من علمه لمن حوله، وبيانه عليهم من تلقاء نفسه.

وتؤخذ هذه الفائدة التربوية من منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التعليم أن يجمل أولا ثم يفصل. وهنا في بعض روايات حديث أم زرع أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها: ﴿كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾. قالت: ثم أنشأ يحدث بهذا الحديث.

ومن ثم يجوز للمعلم أن يجمل الدرس في عناصر رئيسية ثم يفصل كل عنصر تفصيلا.

الفائدة التاسعة:

سؤال السامع العالم شرح ما أجمله له.

وتؤخذ هذه الفائدة من قول السيدة عائشة رضي الله عنها لما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ أنا لك كأبي زرع لأم زرع ﴾. قالت: يا رسول الله: وما حديث أبي زرع ؟ فذكر الحديث.

الفائدة العاشرة :

جواز التأسي بأهل الفضل والإحسان من كل أمة ما لم تصادمه الشريعة.

وتؤخذ هذه الفائدة من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لعائشة رضي الله عنها كأبي زرع لأم زرع، وأن حاله معها كحاله معها في حسن العشرة، وخصال الخير، والأخلاق الحسنة؛ فإن ذلك بغية المسلم، وهو وريثها.

قال المهلب : فيه التأسي بأهل الإحسان من كل أمة، ألا ترى أن أم زرع أخبرت عن أبي زرع بحسن عشرته، فتمثله النبي صلى الله عليه وسلم. (١)

الفائدة الحادية عشرة :

جواز قول المسلم لصاحبه:"بأبي أنت وأمي" و "فداك أبي وأمي"، وما يجرى مجراها.

وتؤخذ هذه الفائدة من قول السيدة عائشة رضي الله عنها: ﴿ بأبي أنت وأمي بل أنت خير لي من أبي زرع ﴾ وهو من معروف كلام العرب، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:﴿ ارم ، فداك أبي وأمي ﴾ (٢)

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام رضي الله عنه حينما أتاه بخبر بني قريظة: ﴿ فداك أبي وأمي ﴾(٣) وقال أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: " فديناك بآبائنا وأمهاتنا" (٤) وبخاصة بعد أن توفي فجاءه، وكشف عن وجهه، وقبله.

---

١) شرح ابن بطال ٧ / ٢٤٥ .

٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد باب المجن ومن تترس بترس صاحبه ١١٠/٦عن علي رضي الله عنه.

٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه ٧ / ٩٩ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

٤) صحيح البخاري كتاب الأدب باب قول الرجل: جعلني الله فداك وقال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم: فديناك بآبائنا وأمهاتنا ٥٨٤/١٠

و مثل ذلك قاله أبو طلحة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا.(١)

ومثله قولهم: "جعلت فداك "، و " نفسي فداؤك ".

وفي شعر حسان بن ثابت ﷺ:

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم فداء

الفائدة الحادية عشرة :

الرد على من لم يجز قول: " فداك أبي وأمي " ونحوه. بحجة أنه لا يفدى أحد بمسلم ، وبأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما قاله ؛ لأن أبويه مشركان.

وتؤخذ هذه الفائدة من قول السيدة عائشة رضي الله عنها هذا القول للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن أبويها مسلمان. وما ورد من آثار تثبت كراهة النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك من الزبير بن العوام رضي الله عنه. و وما ورد من آثار تثبت كراهية عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول القائل: " جعلني الله فداك " فقد ضعفها الإمام الطبري، وتأول إنكارها إن صحت. (٢)

الفائدة الثانية عشرة :

شكر المرأة إحسان زوجها.

وتؤخذ هذه الفائدة من شكر السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم ، واعترافها بأنه صلى الله عليه وسلم خير لها من أبي زرع لأم زرع. كما تؤخذ من شكر أم زرع فعل زوجها بها.

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب قول الرجل: جعلني الله فداك ١٠/ ٥٨٤ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وأخرجه البخاري أيضا في الأدب المفرد برقم ٨٠٢ ، وأخرجه الإمام أحمد ٣ / ٢٦١.

٢) بغية الرائد ص ١٧٤

وقد ترجم أبو عبد الرحمن النسائي رحمه الله لهذا الحديث بقوله: (شكر المرأة لزوجها)، وخرج معه في هذا الباب حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه ﴾ (١) ألا ترى أم زرع كيف شكرت فعل زوجها بها.

الفائدة الثالثة عشرة :

جواز مدح الرجل في وجهه بما فيه إذا علم أن ذلك لا يفسده ولا يغيره.

ومحل الجواز: لمن استوى عنده المدح وعدمه، وكان معروفا بالورع، ومراقبة النفس. أما من مدح في حضرته، وخيف عليه من خواطر النفس، فهذا الذي قيل له: ﴿ قطعت عنق صاحبك ﴾(٢). والنبي صلى الله عليه وسلم ليس من هذا القبيل فهو مظنة كل مدح، ومستحق كل ثناء، بل فوق كل ثناء.

الفائدة الثالثة عشرة :

استحباب تهنئة المتزوج، وجواز ترفيته بلفظ الرفاء على ما كانت عليه عادة العرب عند بعض العلماء. وتؤخذ هذه الفائدة من

معنى قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾ أي في الألفة والرفاء والسكون والطمأنينة، فيستفاد من هذا اللفظ جواز قول بالرفاء والبنين للمتزوج؛ لأنه إذا جاز قول ذلك أو ما في معناه من أحد الزوجين لصاحبه، فما يمنع أن يقوله الأجنبي لأحدهما؟!

---

١) أخرجه النسائي في كتابه عشرة النساء باب شكر المرأة لزوجها ص ١١٣ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب ما يكره من التمادح ١٠/ ٤٩١، وأخرجه مسلم في كتاب الزهد باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنة على الممدوح٤ / ٢٢٩٦ كلاهما من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

وقد اختلف العلماء في جواز التهنئة بلفظ " بالرفاء والبنين "

على مذهبين:

الأول: الجواز، فذهب البعض ممن لم يبلغه النهي إلى استحباب تهنئة الناكح، والدعاء له بأي لفظ يدل على البركة والخير، وكان مما يقال: بالرفاء والبنين، بارك الله لك. وذلك؛ لأن الرفاء في اللغة معناه: الالتئام والاتفاق والسكون والطمأنينة والبركة والنماء من رفأت الثوب ورفوته رفوا ورفاء، وهو دعاء للزوج بالالتئام والائتلاف فلا كراهة فيه.(١) ولا بأس بالزيادة على هذا من ذكر السعادة، وما أحب من خير؛ لأن لفظ البركة لفظ جامع يدخل فيه كل مقصود من ولد ونحوه.

قال ابن حجر: أخرج ابن أبي شيبة وعبد الرزاق في مصنفيهما عن شريح(٢) أنه قال لمتزوج: بالرفاء والبنين.

غير أنه قال: يحمل هذا على أن شريحا لم يبلغه النهي عن ذلك. (٣)

وأخرج **الطبراني** في معجميه الكبير، والأوسط بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: أنه شهد إملاك رجل من الأنصار، فخطب رسول الله

---

١) لسان العرب ٣ / ١٦٨٥ ــ ١٦٨٦، ومختار الصحاح ص ٢٥١، والمصباح المنير ص ١٤٢ــ١٤٣.

٢) هو: أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكوفي النخعي، مخضرم، من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام، ولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية، ثقة، توفي سنة ٧٨ هـ وله مائة وثمان سنين أو أكثر. قال بعضهم: حكم سبعين سنة. يراجع: تقريب التهذيب ١ / ٣٤٩.

٣) فتح الباري ٩ / ١٣٠

صلى الله عليه وسلم، وأنكح الأنصاري، وقال: ﴿ على الألفة، والخير، والبركة، والطير الميمون، والسعة في الرزق ﴾ (١)

قال ابن حجر: وأخرجه أبو عمرو البرقاني في كتاب: معاشرة الأهلين من حديث أنس ﷺ ، وزاد فيه: ﴿ والرفاء والبنين ﴾ وفي سنده أبان العبدي، وهو ضعيف.(٢)

وقد أشار البخاري إلى تضعيف هذا الحديث حين ترجم لحديث أنس رضي الله عنه في قصة تزويج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وفيه:﴿ بارك الله لك﴾ بقوله : باب كيف يدعى للمتزوج؟(٣)

قال ابن بطال: إنما أراد بهذا الباب رد قول العامة عند العرس بالرفاء والبنين، فكأنه أشار إلى تضعيفه، وتضعيف أمثاله.(٤)

الثاني: الكراهة، ودليلهم: ما أخرجه أصحاب السنن وصححه الترمذي، وابن حبان، والحاكم، من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ﴿ كان رسول الله ﷺ إذا رفأ إنسانا قال: بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير ﴾(٥)

١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد في كتاب النكاح باب إعلان النكاح واللهو ٤/٥٣٣ ــ ٥٣٤ وقال: وفي إسناد الأوسط: بشر بن إبراهيم، وهو وضاع. وفي إسناد الكبير: حازم مولى بني هاشم عن لمازة، ولم أجد من ترجمهما.

٢) فتح الباري ٩ / ١٢٩

٣) المصدر السابق.

٤) فتح الباري ٩/ ١٢٩.

٥) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح باب ما يقال للمتزوج ١/ ٥٣٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء فيما يقال للمتزوج ٣ / ٣٩١ وقال: وفي الباب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح باب تهنئة النكاح ١/٦١٤ من حديث أبي هريرة

ورفأ : بفتح الراء وتشديد الفاء وبالهمز وبدونه، معناه: دعا له في موضع قولهم: بالرفاء والبنين. وهي كلمة معروفة مشهورة عند العرب، يقولها أهل الجاهلية حتى سمي كل دعاء للمتزوج ترفئة، وورد النهي عنها.(١)

قال ابن حجر: روى بقي بن مخلد من طريق غالب عن الحسن عن رجل من بني تميم قال: كنا نقول في الجاهلية بالرفاء والبنين، فلما جاء الإسلام علمنا نبينا صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ قولوا: بارك الله لكم، وبارك فيكم، وبارك عليكم ﴾(٢)

وأخرج النسائي وابن ماجه والدارمي وأحمد وغيرهم من طريق أخرى عن الحسن عن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قدم البصرة فتزوج امرأة من بني جشم. فقالوا له: بالرفاء والبنين. فقال: لا تقولوا هكذا. وقولوا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ اللهم بارك لهم، وبارك عليهم ﴾ (٣)

واختلف في علة النهي عن قولهم : " بالرفاء والبنين "على أقوال:

الأول: لأنه لا حمد فيه، ولا ثناء، ولا ذكر لله.

رضي الله عنه. وأخرجه الدارمي في كتاب النكاح باب إذا تزوج الرجل ما يقال له ٢/١٣٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضا.

١)النهاية ٢/ ٢٤٨، ولسان العرب ٣/ ١٦٨٦، والمعجم الوسيط ص٣٥٨، والفائق ٢/ (٧٠ــ ٧١)

٢) فتح الباري ٩/ ١٢٩

٣) أخرجه النسائي في سننه في كتاب النكاح باب كيف يدعى للرجل إذا تزوج ٦/ ١٢٨، وأخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب النكاح باب تهنئة النكاح ١/٦١٤ ــ ٦١٥ ، وأخرجه الدارمي في كتاب النكاح باب إذا تزوج الرجل ما يقال له ٢/١٣٤، وأخرجه أحمد في مسنده في حديث عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه ١/ ٢٠١ وفي ٣ /٤٥١، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب النكاح باب ما قالوا في الرجل يتزوج، ما يقال له ٩ / ٣٥٧ ــ ٣٥٩.

الثاني: لما فيه من الإشارة إلى بغض البنات؛ لتخصيص البنين بالذكر.

قال القاضي عياض: حكى المفضل بن سلمة(١) في كتابه " الفاخر " في توجيهه وجهين:

أحدهما: أن ذلك كان؛ لأن العرب تعتقد بقولها ذلك اجتماعا لا فرقة فيه، وهذا ليس كذلك. **الثاني:** أنه كلام ليس فيه ذكر الله.(٢)

قال ابن المنير: والذي يظهر أنه صلى الله عليه وسلم كره اللفظ ؛ لما فيه من موافقة الجاهلية؛ لأنهم كانوا يقولونه تفاؤلا لا دعاء، فيظهر أنه لو قيل للمتزوج بصورة الدعاء لم يكره، كأن يقول: اللهم ألف بينهما، وارزقهما بنين صالحين مثلا، أو ألف الله بينكما، ورزقكما ولدا ذكرا ونحو ذلك.(٣)

الفائدة الرابعة عشرة :

جواز المزاح المحمود، وإباحة المداعبة مع الأهل، وبسط الوجه واللسان مع جميع الناس؛ فهو من حسن العشرة وطيب النفس.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح، ولا يقول إلا حقا: أخرج الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك تداعبنا. قال: ﴿ إني لا أقول إلا حقا ﴾ (٤)

---

١) هو: أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم، لغوي أديب، من كتبه: " البارع " في اللغة، و" الفاخر " في ما تلحن به العامة، و" الاستدراك على العين للخليل بن أحمد" وغيرها، توفي نحو سنة ٢٩٠ هـ.

٢) بغية الرائد ص ١٧٧.

٣) فتح الباري ٩/١٣٠ .

٤) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب البر باب ما جاء في المزاح ٤ / ٣٥٧ وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه في كتابه: " الشمائل " باب ما جاء في صفة مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ١٦٣. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٣٤٠.

والمزاح نوعان: مذموم، ومحمود، فأما **المذموم** فهو ما يهيج الضغائن، أو يتسلط على عرض رجل أو ماله، أو ما يعد من السباب والكذب ونحوه.

وقد ورد النهي عنه: فقد أخرج **الإمام الترمذي** في سننه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ لا تمار أخاك، ولا تمازحه، ولا تعده موعدة فتخلفه ﴾(١)

وأخرج **الإمام أبو داود** في سننه من حديث عبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا، ولا جادا ﴾ (٢)

وأما المزاح **المحمود** فهو ما يجلب المودة، ويخفض فيه الجناح، ويلان فيه الجانب بشرط الندرة والقلة.

ومزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء زائد على خفض الجناح، وبسط الجانب، وجلب المودة. **ومن ممازحته صلى الله عليه وسلم:**

ما أخرجه الإمام البخاري(٣) في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير:﴿ يا أبا عمير (٤) ما فعل النغير!﴾(٥)

---

١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب البر باب ما جاء في المراء ٤/٣٥٩ وقال: هذا حديث حسن غريب.

٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب من يأخذ الشيء على المزاح ٢ / ٦٤٩.

٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب الكنية للصبي، وقبل أن يولد للرجل ١٠ / ٥٩٨ .

٤) أبو عمير: هو كبشة بن طلحة بن زيد، أخو أنس من أمه.

٥) النغير: تصغير النغر، وجمعه نغران، وهو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار. النهاية ٥ / ٨٦.

ويشترط في المزاح والمداعبة مع الأهل أن لا يكون متصلا مستمرا؛ فإن الجرعة العلاجية دائما تؤخذ بقدر؛ قال الشاعر:

داويت متئدا وداووا طفرة وأخف من بعض الدواء الداء

وقال عمر بن أبي ربيعة:

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء

والإفراط في المزاح مسقط للمروءة التي هي شرط من شروط العدالة، وتعني ترك ما يذم على فعله الإنسان ولو كان مباحا نحو: الأكل في الطرقات، والتبول في الشارع، وصحبة الأراذل، وكثرة الضحك.

الفائدة الخامسة عشرة :

الطلاق لا يقع بالمشابهة، أو المشبه بالشيء لا ينزل منزلته في كل شيء.

وتؤخذ هذه الفائدة من تشبيه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه في صحبة السيدة عائشة رضي الله عنها بأبي زرع حيث قال لها: ﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾ أي في الألفة.

والتشبيه لا يستلزم مساواة المشبه المشبه به في كل شيء، ومن جملة أفعال أبي زرع أنه طلق امرأته أم زرع كما ورد، فلا يلزم النبي صلى الله عليه وسلم طلاق عائشة رضي الله عنها بتشبيهه به؛ لكونه صلى الله عليه وسلم لم ينو الطلاق ولم يقصده، وكناية الطلاق لا توقعه إلا مع مصاحبة النية.

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشبه أبا زرع في الثروة العريضة والممتلكات الكثيرة، والابن، والخادم، ونحوها؛ لما عرف من شمائله ﷺ الزهد في الدنيا.

الفائدة السادسة عشرة :

جواز وصف النساء ومحاسنهن مع النساء والرجال إذا كن مجهولات .

ومحل الجواز: إذا كن مجهولات، فبنت أبي زرع وإن كانت منسوبة إلا أنها في حكم المجهولة؛ لبعد وقتها، وفناء زمنها، والجهل بعينها وعين أبيها.

والذي يمنع من ذلك: وصف النساء المعينات بحضرة الرجال، وأن يذكر من أوصافهن على التفصيل مالا يجوز للرجال إمعان النظر إليه؛ لما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:﴿ لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها ﴾ (١)

وقد زجر النبي صلى الله عليه وسلم المخنث، ومنعه من الدخول على نسائه حين سمع منه وصفه لبادية بنت غيلان الثقفية ما سمع فقال له: ﴿ لقد غلغلت النظر يا عدو الله ﴾ ثم نفاه عن المدينة.(٢)

---

١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها ٩/ ٢٥٠، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب النكاح باب فيما يؤمر به من غض البصر ٥٣٨/١، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ٣٨٠/١، ٤٦٠.

٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة ٢٤٥/٩ عن أم سلمة رضي الله عنها ، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب منع المخنث من الدخول على النساء ٤ / ١٧١٥ــ ١٧١٦ عن أم سلمة وعن عائشة رضي الله عنهما، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب الحكم في المخنثين ٢ /٦٣٢.

الفائدة السابعة عشرة :

ذكر المرء بما فيه من العيب جائز إذا قصد التنفير عن ذلك العيب بشرط عدم التعيين، ولا يكون ذلك غيبة.

وتؤخذ هذه الفائدة من كلام بعض هؤلاء النسوة عن أزواجهن بما يكره.

قال المازري: قال بعضهم: " وفيه: أن هؤلاء النسوة ذكر بعضهن أزواجهن بما يكره، ولم يكن ذلك غيبة؛ لكونهم لا يعرفون بأعيانهم أو بأسمائهم، وإنما الغيبة المحرمة أن يذكر إنسانا بعينه أو جماعة بأعيانهم.

أما إذا كان مجهولا عند السامع، ومن يبلغه الحديث لم يكن غيبة؛ لأنه لا يتأذى إلا بتعيينه، ويجعله كمن قال: في العالم من يسرق أو يشرب الخمر.

وهؤلاء النسوة مجهولات الأعيان والأزواج، ولم يثبت لهن إسلام فلا يحكم فيهن بالغيبة لو تعين، فكيف مع الجهالة ؟!! (١)

ويجوز للزوجة أن تذكر عيب زوجها المعين في مقام الشكوى عند القاضي: فقد دخلت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني، ويكفي بني إلا ما أخذت من ماله بغير علمه، فهل علي في ذلك من جناح؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك ﴾(٢)

الفائدة الثامنة عشرة :

في الحديث : قبول خبر الواحد.

١) فتح الباري ١٨٦/٩، والمنهاج شرح النووي ٢٢٢/١٥ بتصرف .

٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الأقضية باب قضية هند ٣/ ١٣٣٨ .

وتؤخذ هذه الفائدة من أن أم زرع أخبرت بحال أبي زرع، فامتثله النبي صلى الله عليه وسلم.

وتعقب القاضي عياض هذا الكلام فقال: هذا كلام من لا يعرف خبر الواحد، ولا نقول: إنه صلى الله عليه وسلم امتثل حال أبي زرع بل قد كان صلى الله عليه وسلم كذلك، وإنما أخبر صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة رضي الله عنها أنه لها مثل أبي زرع لأم زرع، ألا تراه كيف قال: ﴿ كنت لك ﴾ فأخبر عن حالة كائنة ثابتة، فليس في السياق ما يقتضي أنه تأسى بأبي زرع، ولذا فلا يكون هذا من باب قبول خبر الواحد.(١)

قال ابن حجر: نعم يؤخذ منه القبول بطريق أن النبي صلى الله عليه وسلم أقره ولم ينكره. (٢)

١) بغية الرائد ص ١٨٤ ــ ١٨٥

٢) فتح الباري ٩ / ١٨٧

الخاتمـــــة

في نهاية هذا البحث أستطيع أن أستخلص أهم النتائج الكبرى التي توصلت إليها، وتتمثل في الآتي:

أولا: إن القصة في السنة النبوية وسيلة أساسية من وسائل التعليم النبـوي، وحقيقتها: إخبار الرسول ﷺ عن أحوال الأمم الماضية، وعـن أحـوال الأنبيـاء السابقين عليهم السلام، وعن الحوادث الواقعة في عصره ﷺ ؛ أخذا للعبرة والعظة.

ثانيا: إن القصص في السنة النبوية حقيقة لا خيال؛ لأن السنة النبويـة هـي أقوال وأفعال وتقريرات وصفات النبي ﷺ الذي﴿ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾(١)

ثالثا : تختلف القصة النبوية عن القصة الأدبية في أن قائل الأولى هو: رسول الله ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم بينما قائل الثانية هم: الأدباء وهم ليسوا كـذلك. كما أن الهدف الرئيسي من القصة النبوية هو التربية والتوجيه والتهـذيب بجانب التأريخ وليس كذلك القصة الأدبية.

رابعا : أطلق بعض المحدثين لفظ القصة على الأحاديث النبوية ذات الطـابع القصصي، ومن أبرزهم: الإمام البخاري، والإمام النووي ــ رحمهما الله تعالى ــ.

خامسا: يتنوع القصص النبوي باعتبار الموضوع إلى أنواع أهمهـا: قصـص الأمم الماضية، وقصص الأنبياء السابقين، وقصص الوقائع والحوادث التي وقعت في زمنه ﷺ. كما تتنوع القصة النبوية باعتبار الحجم إلى: قصص طويلـة، وقصـص قصيرة.

سادسا: للقصة النبوية أجزاء ثلاثة هي: الموضوع، والأسلوب، والهدف. وإن أهم ما يتسم به الموضوع في القصة النبوية: الواقعية، والاهتمام بالعبرة والعظة. وإن

---

١) سورة النجم الآيتان (٣ و ٤)

أهم ما يتصف به الأسلوب في القصة النبوية: السمو والارتقاء، والإيجاز في عـرض الأحداث، والإجادة في تحقيق الهدف. وأهم ما يتسم به الهدف في القصة النبويـة: هو البناء العقائدي والأخلاقي والاجتماعي.

سابعا: بالمقارنة بين القصة في السنة النبوية والقصة في الأدب المعاصـر مـن حيث المصدر والهدف والأسلوب نجد أن البون بينهما شاسع.

ثامنا: للقصة دور عظيم في التربية والتعليم من حيـث تأثيرهـا النفسـي والعاطفي والعقلي؛ إذ تعرض فيها الحقائـق في صورة مواقف يتفاعل معها المـتعلم تفاعلا ينقله ليعيش أحداثها، أو ينقلها لتعيش في قلبه وعقله. ومن ثم فللإنسان ميل فطري إلى سماع القصص؛ لما لها من سحر، وجذب للقلوب، وهي أطول أمـدا في الذاكرة؛ ولذا كانت عناية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بها.

تاسعا: في القصص النبوي مادة خصبة تساعد المربين والمعلمين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تربوي وعقدي وتهذيبي وأخلاقي من سيرة النبيين، ومـن أخبار الماضين، ومن الحوادث والوقائع التي وقعت في زمنه ﷺ.

عاشرا: يتضح من تخريج حديث قصة أم زرع أنه في أعلى درجات الحديث الصحيح؛ فهو من الأحاديث المتفق عليها. ولا خلاف في صحته. وقد ثبت بأصـح الأسانيد عن السيدة عائشة رضي الله عنها؛ فهو من رواية هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عنها.

الحادي عشر: من المتفق عليه أن قولـه ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها: ﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾ مرفوع إليه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وفي غيرهما، وأما بقية حديث القصة فمختلف في رفعه أو وقفه، **والراجح** أنه مرفـوع لفظا؛ للروايات الصحيحة الواردة برفعه عند النسائي والطبراني، وسياقه لا يقبـل التأويل كما تقدم، أو مرفوع حكما؛ لأن التشبيه المتفق على رفعه، وهو قولـه ﷺ:

﴿ كنت لك كأبي زرع لأم زرع ﴾ يستلزم سماع ومعرفة النبي ﷺ بالقصة وإقرارها؛ ومن ثم يكون حديثها مرفوعا حكما من ناحية إقرارها.

الثاني عشر: أضربت الروايات الصحيحة صفحا عن ذكر أسماء النساء، وأسماء أزواجهن، وأسماء الزمان والمكان؛ لأنه لا يتعلق بذكرها كبير فائدة، فالعبرة والعظة في القصص النبوي ليست بأسماء الأشخاص وأسماء المكان والزمان بل بالبناء العقائدي والأخلاقي والاجتماعي.

الثالث عشر: ضرورة العناية بالقصص النبوي، وتمييز الصحيح منه من غيره، وتزويد المكتبة الإسلامية بالأبحاث والمؤلفات الدقيقة فيه.

الرابع عشر: اشتمال حديث أم زرع ــ كما ثبت في ثنايا هذا البحث ــ على أبرز فنون البلاغة، وأعظم ضروب الفصاحة، فهو مع كثرة فصوله، وقلة فضوله، مختار الكلمات، واضح السمات، نير القسمات، قدرت ألفاظه قدر معانيه، فجمع مع جزالة ألفاظه حلاوة بيانه، وجمال معانيه، وروعة بديعه. فاحتل في البلاغة مركزا، وفي البديع موضعا. وما أعظم وماأكثر الفوائد الفقهية المستنبطة من قصة أم زرع والتي هي بمثابة العلاج الناجع لسوء العشرة بين الزوجين.

هذا وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

﴿ رب أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ﴾

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

ثبت بأهم مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم .

- **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان** : تأليف علي بن بلبان طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**: تأليف الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري الشافعي المتوفى سنة ٨٥٢ هـ طبعة دار الكتب العلمية.
- **أمثال الحديث** المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم: للقاضي أبي الحسن ابن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، طبعة: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- **بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد** : للقاضي عياض ابن موسى النيسابوري اليحصبي السبتي (٤٧٦هـ / ٥٤٤هـ) طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، الناشر: مكتبة ابن تيمية بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: تأليف الإمام الحافظ أبي العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري المتوفى سنة ١٣٥٣هـ طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**: للحافظ جلال الدين السيوطي(٨٤٩ ــ ٩١١هـ) طبعة دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- **تذكرة الحفاظ** : للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ طبعة دار الفكر العربي.

• التعريفات : تأليف السيد الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ، طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

• تفسير حديث أم زرع : للحافظ السيوطي في تعليقه على البخاري آخر كتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد السابق. طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، الناشر مكتبة ابن تيمية بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

• تفسير القرآن العظيم: للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ طبعة عيسى البابي الحلبي.

• تقريب التهذيب: للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، تحقيق وتعليق وتقديم د/عبد الوهاب عبد اللطيف، طبعة دار المعرفة بيروت.

• تهذيب الأسماء واللغات: للإمام الحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

• تهذيب التهذيب : للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م.

• جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: تأليف السيد أحمد الهاشمي، إشراف صدقي محمد جميل، طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

• درر حديث أم زرع من منظور الشرع : جمع وترتيب أبي عبد الرحمن نبيل بن أبي الحسن القيسي، طبعة دار الفوائد الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

• سنن ابن ماجه: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار الفكر.

• سنن أبي داود : لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ تعليق الشيخ / أحمد سعد علي الطبعة الثانية طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

• سنن الترمذي: للأمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى٢٩٧هـ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م.

• سنن الدارمي: للإمام أبي محمد عبد الله بن بهرام الدارمي المتوفى سنة ٢٥٥هـ، طبعة دار الفكر بيروت، وطبعة دار الكتب العلمية بيروت.

• سنن النسائي: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ، طبعة المكتبة العلمية بيروت.

• شرح ابن بطال على صحيح البخاري: للشيخ العلامة أبي الحسن علي ابن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي المتوفى سنة٤٤٩ هـ، تحقيق وتخريج مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الأولى سنة١٤٢٤هـ.

• شرح السنة : للحافظ أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المولود سنة ٤٣٦ هـ المتوفى سنة ٥١٦ هـ، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، طبعة دار الفكر بيروت سنة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

• الشمائل المحمدية : للإمام أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي صاحب السنن المولود سنة ١٠٩ هـ المتوفى سنة ٢٧٩ هـ، تحقيق ودراسة أحمد فريد المزيدي طبعة المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

• صحيح مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ــ ٢٦١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي طبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي).

• طرائق النبي ﷺ في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم : تأليف د/ أحمد محمد العليمي، طبعة دار ابن حزم بيروت لبنان/ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م.

• عشرة النساء : للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي، طبعة دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية سنة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

• عمدة القارى شرح صحيح البخارى : للشيخ الإمام العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ طبعة الحلبي.

• غريب الحديث : لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة ٢٢٤ هـ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت،الطبعة الثانية١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

• الفائق فى غريب الحديث: للعلامة جار الله محمود بن عمر للزمخشري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى الحلبي الطبعة الثانية.

• فتح البارى بشرح صحيح البخارى: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ طبعة دار الريان للتراث، وطبعة دار الفكر بيروت، وطبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة سنة ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.

• القصص الصحيح فى السنة النبوية: تأليف أ. د/ طلعت محمد عفيفي عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، مطبعة المدني بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

• القصص فى الحديث النبوى (دراسة فنية وموضوعية): تأليف محمد بن حسن الزير طبعة المطبعة السلفية، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨م.

• لباب البديع: تأليف د/ محمد حسن شرشر، طبعة دار الطباعة المحمدية بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

• لسان العرب: لجمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة بن منظورالمتوفى بمصرسنة ٧١١ هـ طبعة دار المعارف بالقاهرة.

• اللمع فى أسباب الحديث: للإمام المحدث الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق: غياث عبد اللطيف دحدوح، طبعة دار المعرفة بيروت/الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م .

• مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة٨٠٧ هـ ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، طبعة دار الفكر بيروت سنة١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

• مختار الصحاح: للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، عني بترتيبه محمود خاطر، مراجعة لجنة من مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

• المستفاد من مبهمات المتن والإسناد: للإمام الحافظ أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى سنة ٨٢٦ هـ، تحقيق د/ عبد الرحمن عبد الحميد البر، طبعة دار الوفاء ــ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

• مسند أبي يعلى الموصلي: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي المولود سنة ٢١٠هـ المتوفى٣٠٧هـ، تحقيق وتخريج حسين سليم أسد، طبعة دار الثقافة العربية بدمشق ــ الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

• **المسند**: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة ٢٤١هـ طبعة المكتب الإسلامي بيروت. الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

• **المصباح المنير**: للعالم العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري طبعة دار الحديث سنة١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

• **المعجم الكبير**: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، طبعة دار إحياء التراث العربي، والناشر: مكتبة ابن تيمية.

• **المعجم الوجيز**: إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة الهيئة العامة للشئون الأميرية سنة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

• **المعجم الوسيط**: إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبعة مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

• **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**: للإمام الحافظ أبي زكريا محيي الدين ابن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، طبعة المطبعة المصرية، وطبعة دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

• **النهاية في غريب الحديث والأثر**: للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير المولود سنة ٥٤٤ هـ المتوفى سنة ٦٠٦ هـ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، طبعة دار إحياء الكتب العربية(عيسى الحلبي).

فهرس

المحتوى

مقدمة ٣

مدخل ٧

ويشتمل على المطالب التالية : ٨

المطلب الأول : تعريف القصة لغة واصطلاحا. ١١

المطلب الثاني : حقيقة القصة في القرآن الكريم والسنة النبوية. ١٣

المطلب الثالث : أنواع القصة في السنة النبوية. ١٩

المطلب الرابع : خصائص القصة في السنة النبوية. ٢٣

المطلب الخامس: أهداف القصة، وفوائدها، وأثرها في التربية والتعليم. ٢٩

المبحث الأول: نص القصة وتخريجه. ٢٧

* نص قصة أم زرع . ٢٧

* التخريج الإجمالي. ٢٩

* التخريج التفصيلي. ٢٩

المبحث الثاني: لطائف حول روايات القصة. ٣٢

* علاقة القصة بالكتب والأبواب الفقهية التي وردت بها. ٣٢

* هل حديث القصة مرفوع إلى النبي ﷺ أو موقوف على السيدة عائشة رضي الله عنها؟ ٣٣

* شبهة والرد عليها. ٣٤

* سبب ورود القصة. ٣٦

المبحث الثالث: التعريف بالراوي الأعلى . ٣٧

المبحث الرابع: أهم الجـوانب اللغويـــة . ٤٠

المبحث الخامس: أهم الجوانب البلاغيـــة. ٨٥

المبحث السادس: أهم الفوائد الفقهيـــة. ٩٧

الخاتمـــة ١١٦

ثبت بأهم المصادر والمراجع. ١١٩

الفهرس ١٢٥